زنزانة 23

زنزانة 23
أحمد فكري
قصص
تدقيق لغوي : خالد رجب عواد
تصميم الغلاف : محمد عيد
رقم الإيداع : 2015/1990
I.S.B.N: 978-977-488-342-2

دار اكتب للنشر والتوزيع
اكتب
OKTOB.NET دار اكتب للنشر والتوزيع
الإدارة : 10 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة .
المدير العام : يحيى هاشم
هاتف : 01144552557 - 01147633268
E – mail :daroktob1@yahoo.com
Facebook : دار اكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ، 2015م

زنزانة 23

أحمد فكري

قصص



دار اكتب للنشر والتوزيع



إهداء

إلى

روح والدي الغالي

أهدي ذلك الكتاب

ليلة ممطرة



تعود أحداث هذه القصة إلى شتاء *1980*، عندما كنت في شقتي بالإسكندرية، أجلس لأتفقد بعض الأبحاث الطبية، أمامي فنجان القهوة الساخن، أرشف منه من حين إلى آخر.

أنظر إلى ساعتي فأجدها الواحدة صباحًا.

أسمع صوت الأمطار وهي تهطل من جديد، فيقشعر جسدي وينتفض عندما أقارن هذه الأجواء بالدفء الذي بالخارج، في تلك اللحظات، دوت دقات على باب شقتي!

دقات متلاحقة، مصرة، مخيفة، بالإضافه إلى أنها تعلن عن قدوم شخص ما!

شخص ما كان ينتظر خلف الباب، وبالطبع كان علي أن أنهض كي أُجيبَ من بالباب.

لن أخفي عليكم أنني شعرت بتلك القشعريرة تسري في جسدي؛

مما جعل الشعيرات التي على ساعدي تنتصب.

مَنْ ذلك المعتوه الذي يطرق الأبواب في مثل هذه الأوقات؟

بكل تأكيد لن يكون مندوبًا ما، أو حتى ضيفًا سمجًا،

لكنني يجب أن أُجيبه، وألا أترك ذلك الزائر يتجمد بالخارج.

لذا نهضت، وفتحت الباب.

عندها رأيتها، ترتدي ثيابًا رثةً مُبتلة.

كانت طفلة في عامها السابع على ما يبدو، أنفاسها تتلاحق من فرط مجهود شاق تم بذله!

حاولت تهدئتها وسؤالها: عمَّ تريد؟

لكنها قاطعتني قائلة بعد أن أخذت نفسا عميقا:

– أمي مريضة، إنها تموت!

لم أدرِ ما الذي عليَّ فعله؟ أو بِمَ سأرد على تلك البائسة؟

هل أخبرها أنني لم أمارس مهنتي الطبية منذ زمن أم ....؟

ثم من الذي أخبرها أنني طبيب؟

قاطعتني وكأنها علمت ما يدور في خلدي، وأضافت:

– إنها تموت، أرجوك، هلمَّ ، بسرعة.

لم أجد مفرًّا من أن أبدل ثيابي، وأُحضر حقيبتي، وأذهب معها إلى حيث والدها.

وبعد قرع الباب عدة مرات والكثير من الضغطات على الجرس،

سمعت صوتًا يأتي من داخل الشقة، كان أقرب إلى الأنين، أخذ يقترب، ثم أزاح صاحب الصوت المزلاج، وفتح الباب.

كانت امرأه مسنة، نحيلة، إن دققت الوصف لقلت: إنها ماتت من قبل مائة مرة.

أضناها المرض، أخذت تسعل وتسعل، ثم أصدرت أنينًا، وقالت بصوت مبحوح:

- مرحبًا، من أنت؟ تفضل.

قالتها وهي تسقط على الأرض، فأمسكت بيدها واتجهت بها إلى حيث لا أدري وأنا أُجيب قائلًا:

- أنا جاركم، لو جاز لي أن أقول ذلك؛ فأنا لا أقطن هنا بالمرة، بل في شارع مجاور، لكني طبيب على كل حال، وأعتقد أنني أتيت في الوقت المناسب.

- استلقت هي على الفراش، كنا قد وصلنا إلى غرفه النوم، كما هو واضح.

و بدون أية إضافات بدأت أمارس مهنتي كطبيب.

وبعد لحظات كتبت لها الأدوية المناسبة، ومن ثم انصرفت دون أن أتقاضى أية نقود.

***

في اليوم التالي، ذهبت كالعادة إلى الجامعة لإلقاء محاضرتي، ثم عدت إلى شقتي، أحضرت بعض الطعام الذي يصلح عشاءً، جلست أشاهد التلفاز، وبعدها لم أدر بنفسي، لم يوقظني إلا صوت دقات، معلنة مرة أخرى عن حضور شخص ما، نظرت إلى ساعه الحائط، فوجدتها الثانية عشرة والنصف صباحًا، نهضت واتجهت إلى الباب

وفتحته، هذه المرة وجدت طفلًا صغيرًا، يرتدي قميصًا أحمر، وبنطالًا يحمل ذات اللون.

في ذلك الطقس يرتدي هذه الثياب؟!

ابتسم لي في بلاهة وهو يقول:

– أمي مريضة، إنها تموت.

انحنيت له حتى يسمعني، وقلت:

–أمك من؟

أجابني في شيء من الخوف بذات الجملة:

– أمي مريضة، إنها تموت.

لم أدر ما أفعل؟

ومرة أخرى أخذت حقيبتي، وأبدلت ثيابي، وهبطت معه الدرج.

في الخارج، كان الطقس شديد البرودة، وما زاد الأمر سوءًا أن الأمطار قد بدأت تهطل بقوة.

- ياالهامن ليلة!

قلتها في نفسي، وأنا أغلق أزرار معطفي، وأنظر الى الطفل، فوجدته يسير في سعادة وينظر إليّ في بلاهة!

إنه يتجه إلى منزل ما، أعتقد أنني رأيته من قبل، لكن ذاكرتي أصبحت واهنة.

أعتقد أنه ذات المترل الذي كنت فيه بالأمس، ربما، وربما ذات الشقة.

وبعد لحظات من السير على الأقدام وصعود الدرجات، وجدت نفسي أمام الشقة ذاهّا .إذًا لقد اشتد المرض على تلك البائسة.

هكذا خمنت، دققت الباب عدة مرات وأنا أتحدث إلى الطفل متسائلًا:

– أين تلك الفتاة التي كانت ترتدي ذلك الفستان الأبيض؟

قلتها ثم أردفت:

– هل هي أختك؟

نظر لي بذات البلاهة، ولم يقل شيئًا، هنا استجاب شخص ما لدقاتنا وفتح الباب.

كانت ذات السيدة الواهنة المريضة، دلفت معها إلى الداخل وأنا أسألها:

– ما الأخبار اليوم؟ هل هنالك تحسن؟

أجابت في وهن:

– الحمد لله، لكن مازال هناك تبعات.

هذه المرة استلقت على الأريكة.

فأحضرت مقعدًا وجلست إلى جوارها كي أفحصها.

بعد ما انتهيت من فحصها، أكدت لها أنها أحسن حالًا اليوم من الأمس.

أجابت بصوتها المبحوح: إنها تشعر بهذا، وأضافت أنني لطبيب بارع.

شكرتها على كثرة تملقي، ثم نظرت حولي باحثًا عن الطفلين، اللذين تواريا تمامًا، فربما اختبآ هنا أو هناك، أو ربما كانا ولدي الجيران.

فكرت قليلًا، ثم سألتها في خبث:

– في الحقيقة إن طفليك يحبانك حبًّا جمًّا، فقد أتياني في مثل هذه الأجواء، كي يطمئنا عليك، لكن أين هما؟

نظرت إلي وسألتني في تعجب:

- طفلاي أنا؟!

ثم أضافت في أسى :

– رحمهما الله ، لقد ماتا منذ زمن!

ارتبكت قليلًا، بل كثيرًا، ثم وضعت ظهر يدي على مقدمة رأسها كي أتحسس درجه حرارتها، إنها تهزي، بكل تأكيد هي تهزي.

لكنها أضافت:

أنت تعتقد أنني أهذي، أقسم لك أنني لا أهذي وأنهما ماتا منذ عشرة أعوام، ماتا وهما طفلان.

فغرت فاهي، وسألتها وأنا أشعر بالخبل:

– ك... كيف؟

-إنه حادث قديم، نشرته بعض الصحف.

حادث تصادم بين أتوبيس التلاميذ وسيارة نقل، بالطبع راح ضحيته الكثير من الأطفال بالإضافة إلى السائق، وبالطبع كان طفلاي من بين هؤلاء الضحايا، تلقيت الخبر كالصاعقة، كنت كالمجنونة، فكرت كثيرًا في الانتحار، لكني عدلت عن ذلك خوفًا من الله، بعد ذلك أخبروني أن علي الذهاب إلى المشرحة، والتأكد من أن جثتي طفلي من بين الجثث التي انتشلت.

لك أن تتخيل موقفي في تلك اللحظة، أنت تتسلم جثث طفليك!

-ياله من موقف!

صمتت لبرهة، تحدثت فيها دموع عينيها، ثم أضافت:

-لكني إلى الآن أحتفظ بملابسهما التي ماتا وهم يرتديانها، ولدي صورة فوتوغرافية تجمعني بهما ، كح ، كح، أخذت تسعل من جديد، ثم أشارت بيدها الى غرفة ما، وأضافت:

- تفضل بالدخول إلى هذه غرفتهما، كانت هذه غرفتهما،

سارعتُ بالنهوض قاصدًا تلك الغرفة، أزحت المزلاج، أضأت المصباح الواهن، رائحة العطن كادت تخنقني، لكنني لم أتراجع،كانت غرفة -على مايبدو- لم تطأها الأقدام منذ زمن.

اتجهت إلى حافظة الثياب التي فقدت أحد أبوابها، نظرت بداخلها لأجد فستانًا أبيض، وقميصًا أحمر، وبنطالًا يحمل ذات اللون، بالطبع كانت مهترئة .

ألقيت نظرة على الحائط، فوجدت صورة فوتغرافية، توجهت ناحيتها، ودققت النظر أكثر، هذه السيدة العجوز، وأمامها يقف طفلاها يبتسمان في بلاهة واضحة

إذًا هي صادقة، وضعت الثياب كما كانت، وتركت الغرفة ودلفت الى الخارج؛ لأتلقى صدمة أخرى أشد وطأة!

لقد اختفت السيدة العجوز هي الأخرى!

بحثت عنها في كل مكان بالشقة، لكنني لم أجدها! ما هذا الهراء؟ فتحت باب الشقة، وتوجهت إلى الخارج، سمعت صوت أقدام تهبط الدرج، فانتظرت حتى أتبين صاحبها كي أساله عن أمر تلك الشقة اللعينة، فوجدته رجلًا قصير القامة، في الثلاثينيات من عمره تقريبًا، نظر لي في تشكك، ثم سألني عن مبتغاي، فبدأت اشرح له ماحدث معي تفصيلا، فتغيرت قسمات وجهه شيئًا فشيئًا، ثم علّق بعد أن انتهيت:

- ما تقوله حضرتك، بكل صراحة، لا أحد يصدقه، لكنني أصدقك على كل حال.

قالها ثم أضاف:

– هل تدري لِمَ ؟

– لِمَ؟

– لأنه حدث معي، عندما انتقلت الى هنا حديثا.

قالها ثم انصرف، هابطًا الدرج!

ماهذا الخبل؟!

أردت ان أنادي عليه، لكنني تركته ينصرف، هبطت الدرج بدوري، وتوجهت إلى خارج المترل بأكمله، ما زالت الأمطار تتساقط بقوة!

أخذت أرمق المكان، حتى رأيت ذلك الدكان، الذي لم يغلق بعد، فتقدم ناحيته، ودلفت بحذر إلى الداخل، كان هناك رجل في الأربعين من عمره تقريبًا، يدس رأسه داخل سيارة ويعالج شيئًا ما فيها ، فتوجهت ناحيته، وألقيت عليه السلام.

فرده علي في ود، بعد أن أطل برأسه من السيارة، اقتربت منه أكثر وبدأت أساله عن أمر ذلك المترل، ترك ما كان يفعله، ونظر إلي وقال:

- إن ذلك المترل لهو عجب العجاب، فهذا المترل والعياذ بالله مسكون بالعفاريت، والجان، منذ أن جئت إلى هذه المنطقه، وأنا أسمع عنه عجب العجاب، حتى مالكه لم يستطع بيعه، وكلما أتى بمشترٍ حدثت له هو والمشتري كارثة، يقولون: إهم قد أتوا له، وأخبروه أهم يسكنون البيت، وأهم لن يتركوه يبيعه، ومنذ ذلك الحين، لا أحد يجسر على الدنو من ذلك المترل، سعره صار بخسًا، لكن لا أحد يشتريه. إن ما دار حوله من قصص وخرافات، كان كفيلًا بجعل أي مشترٍ يعدل عن رأيه، لكنني وبصدق لا أعلم إن كان ذلك صحيحًا أم إنه مجرد أساطير؟!

قال ما قال ثم أردف:

- لقد مات بيومي، ومن قبله قد شل طرف مسعود.

قالها، كأنني من أهل المنطقه، وأعلم هؤلاء الناس، ثم تذكر شيئًا ما، فأضاف، وهو يبتسم:

- لكن، ولامؤاخذة، بتسال ليه؟

نظرت له ثم أجبته:

- لا شيء، كنت أود أن أشتريه، لكنني عدلت عن ذلك،

- فعلت خيرًا، أنا عن نفسي لا أتاخر إلى مثل هذا الوقت، إلا عندما يكون هنالك مصلحة عاجلة، ولا بد أن يكون معي بليه، نظرت إلى داخل المحال، فوجدت ذلك البليه يعبث في شيء ما،

– هل الأشباح والعفاريت تمرض مثلنا؟!

قلتها للرجل، الذي نظر إلي في بلاهة، وأضاف:

- ماذا تقول؟

- لا شيء، لا شيء.

قلتها له، ثم شكرته وانصرفت، وأنا اأسال نفسي مائة سؤال، لكنني لم أجد إجابة واحدة.

بروووووم

كان هزيم الرعد يدوي في كل مكان.

لذا اتجهت إلى منزلي، وأنا أرمق هذين الطفلين، من بعيد، يركضان بعضهما خلف بعض في سعادة عارمة، الطفلة ترتدي فستانًا أبيض، والطفل يرتدي قميصًا أحمر، وبنطالًا يحمل ذات اللون!

الموقع 37



- للمرة الأخيرة، أخبرك أن الموقع 37 ليس مثل باقي المواقع، إنه مختلف، الجميع يعلم ذلك، لكنهم لا يريدون الحديث عنه، فهم يهابونه فحسب،إنهم يعرفون جيدًا، يعرفون أنه كان مقابر، هُدمت.

قالها المهندس أمجد للخفير الجديد الذي اكتفى بالصمت وإماءة رأسه، ثم أضاف:

- ه--م--م، هل قررت التراجع، أم أنك ستقبل ؟

تنهد الخفير طويلًا ثم قال:

- لا ، لن أترك ذلك العمل، لقد قبلت.

قالها، و هو يدرك جيدًا أن الحصول على عمل في تلك الأيام يعد كأنه معجزة؛ لذا فلن يدع هذه الفرصة تفوته، ثم إنه لا يعتقد في مثل هذه الأمور، لا يعتقد أبدًا في هذه الأمور.

- إذًا ها هي حاجياتك.

قالها أمجد، ليقطع عليه تفكيره، ثم ألقى ببندقية عتيقة جانبًا ومعها ذلك البالطو العتيق، وبعدها همّ بالانصراف، تاركًا إياه بمفرده، شارد الذهن .

فكر للحظة في التراجع، لكنه عدل عن ذلك.

نظر حوله فلم يجد أحدًا، لقد انصرف الجميع، إنه الان وحيد تمامًا. الجميع قد انصرف وهو باقٍ.

لا مفر إذا من المكوث حتى الصباح، لقد وضع نفسه في موقف لا يحسد عليه، كان في إمكانه التراجع، لكنه أبى.

تجربه مثيرة حتى الصباح، لكن المهم أن يأتي ذلك الصباح.

أعد لنفسه قدحًا من الشاي الأسود الساخن حتى يكون عونًا له

على السهر، أخذ يستمع إلى المذياع المتهالك الخاص بالخفير السابق، وأمامه النار المتراقصة، وبجانبه البندقية التي تركها له مسعود، لا مانع أيضا من تدخين النرجيلة، يأخذ نفسًا عميقا، ثم ينفثه في الهواء.

أُرهقت عيناه، فأراحهما قليلًا، نام، ربما، لا يعلم كم من الوقت قد مر وهو نائم؟

كل ما يعلمه أنه نهض مذعورًا على ذلك الصوت!!

إنه وقع أقدام، يبدو أن صاحبه يتجول في الموقع رقم **37**.

نظر في ساعته ليجدها الثالثة صباحًا .

قبض بيده على البندقية، ومن ثم نهض متثاقلًا، مصوِّبًا إياها على لا شيء تقريبا. هو لا يعلم إن كانت بحالة جيدة أم لا، لكنها حماية على كل حال، سار مترنحًا كالإنسان الآلي متجهًا إلى مصدر ذلك الصوت.

ازدادت ضربات قلبه، وشعر بأن قلبه سوف يتوقف من فرط الرعب والإثارة.

إنه لا يعتقد في مثل هذه الأمور، لكن الإيحاء كان يقوم بدوره.

تحامل على نفسه واقترب أكثر!

هنا رآه!

كان يقف عند القرميد!

صوب نحوه البندقية و... و ....

أراد الصياح، لكنه لم يفعل، فالصراخ سوف يزيد من توتره، وربما أطلق عيارًا طائشًا أصاب به شخص بائس، لهذا اكتفى بالتصلب.

في هذه اللحظة شعر به ذلك الغريب واستدار ليتبين ملامحه!

إنه أمجد، المهندس الذي ولاه العمل.

شعر بارتياح فأراح ساعديه وبندقيته، وهو يقول:

– لقد أثرت فزعي يا باشمهندس.

نظر له أمجد في شيء من البرود ثم أضاف:

– جئت كي أطمئن على شيء ما وقد فعلت.

– هل هو على ما يرام ؟

– من؟

– ذلك الشيء.

- نعم، على ما يرام.

وهكذا مدّ الخفير يده بكوب الشاي وأعطاه إياه، وجلسا يتبادلان أطراف الحديث.

سأله عن أولاده وعن زوجته.

وسأله أمجد عن حياته ودراسته، وإلخ.

مضت الساعات وهما جالسان حول النار.

وعندما اقترب الفجر، نهض أمجد مودعًا الخفير وواعدًا إياه باللقاء في الصباح .

شكره الخفير مرارًا على بقائه معه في ساعات الليل، وبعدها انصرف.

لن تمضي إلا ساعات قليلة ، وبعدها سيتوافد العمال ويبدأ العمل في الموقع **37**.

الله اكبر، الله اكبر،

آذان الفجر يدوي في المنطقه، نهض ليتوضأ ومن ثم يصلي.

***

الساعة الآن التاسعة صباحًا.

- صباح الخير ياباش مهندس أمجد.

قالها الخفير وهو يتجه ناحية المهندس مادًّا كفه كي يصافحه ثم

أضاف:

– هل نمت مرارًا؟

أجابه المهندس في غرابة:

– نعم، لكن لماذا؟

– لا شيء، فقط انصرفت أنت منذ ساعات و....

قاطعه المهندس قائلًا:

– ماذا؟ أنا؟

– نعم، عندما تحدثنا عن.....

قاطعه المهندس مره أخرى قائلًا:

– أنا لم آت إلى هنا منذ انصرافي.

– نعم منذ أن تركتني في الخامسة صباحًا.

– لم آتِ أصلًا بعد أن انصرفت وأعطيتك الحاجيات الخاصة بك، أنت تهذي.

– بل أنت من يهذي.

– كن أكثر تهذيبًا.

– كيف تحدثني بهذه اللهجة؟

واحتد النقاش بينهما وتعالت أصواتهما، في هذه اللحظة، أتى مهندس شاب آخر ليفض تلك المشادة التي نشبت، متسائلًا:

-ما الذي حدث؟

قالها طالبًا التفسير.

أجابه أمجد بعد أن أشار له بعينه اليمنى إشارة ذات معنى، لم يرها الخفير:

-هذا الرجل يدعي أنني قضيت معه الليل أرشف الشاي.

نظر له المهندس الشاب قائلًا:

-اعلم يا باش مهندس أن هذا لم يحدث، لكنه معذور، فيبدو أنه قابل أحدهم.

نظر له الخفير في بلاهة ثم أضاف:

-م ت ق ص د ب أح ده م؟

لكنه لم يتلقَ اجابة، فقط انصرف الاثنان، وتركاه فاغرًا فاهه

في بلاهة.

صاح مرة أخرى متسائلًا:

-من تقصد بأح دٍ؟

فقاطعه المهندس الشاب بصوت مرتفع:

-أحد القاطنين بالموقع رقم 37!

***

في شقته، بدا يفكر في إيجاد تفسير ما لما حدث، عاقدًا ذراعيه خلف ظهره.

حتى طرأت له تلك الفكرة: أن ينتظر حتى يأتي الليل وبعدها يذهب إلى الموقع لينفذ تلك الفكرة.

– سوف أعفيك من تفاصيل حياته الشخصية، وأنتقل بك إلى جزء آخر أهم وهو ذهابه إلى الموقع.

انتظر حتى انصرف الجميع، تأكد أنه بمفرده. ثم بدأ عملية البحث عن أي شيء، لا بد أن هناك شئًا ما يريد المهندس إخفاءه،

لا يوجد شيء على الأرض تقريبًا، قبض بيده على فأس كانت ملقاة على الأرض، وأخذ يدق الأرض دقًّا. لحظة! يبدو أنه لمح تلك الفتحة الموجودة في الأرض، جثا بركبتيه على الأرض ثم نبش الأرض بيده، حتى وجد ذلك المقبض.

قبض بيده عليه ورفعه...الآن اتضح له الأمر! إنه سرداب، سرداب يؤدي إلى أين؟

ذهب وأحضر الكشاف، والبندقية، ثم هبط الدرج، لقد اتضحت الرؤية الآن كاملة. إنها مقبرة، مقبرة فرعونية كاملة مملوء بالذهب والفضة، الان فقط علم الحقيقة، الآن فقط علم أنه لم يكن يهذي.

أحدهم كان هنا



قال المحامي وهو يعقد رابطة عنقه:

- ألف مبروك يا سيد مراد، اعلم أنه إرث طريف وغريب بعض الشيء، لكن هذه هي وصية عمك كما تعلم، اه، بالمناسبة هذا هو المفتاح الخاص بالشاليه.

تنهد هو في استسلام ثم مد يده إليه ملتقطًا المفتاح وهو يرسم ابتسامة صفراء مختلطة بشيء من السخرية .

ما الذى سيفعله بذلك الشاليه؟

هل سيبيعه؟

هل يعلن أنه للإيجار؟

هو لا يدرى، لا يدري بالضبط ما الذي ينتوي فعله بذلك الإرث الغريب؟

***

كان شتاء 1990؛ لذا لا مجال للاصطياف، لكنه قرر الذهاب للمعاينة فحسب.

لا، لن يتغيب عن عمله بالمدرسة، فقط هو ألغى جميع الدروس،

يعرف أن اليوم هو الخميس، وأن الحصص السبع سوف تصير ستة، وبعدها، يذهب الى المحطة ويستقل سيارة أجرة إلى الإسكندرية.

وفي السيارة، تمر الساعات وهو على ذلك الحال،ينظر إلى الطريق عبر زجاج النافذة في شرود تتوقف السيارة ويصيح السائق بصوته المشروخ:

- حمدلله ع السلامة.

انتبه لما يحدث فوضع يد الحقيبة على كتفه وتوجه إلى الخارج.

نظر إلى ساعته فوجدها الرابعة والنصف مساءً.

ما زال أمامه وقت، أخرج ورقة خطٌ عليها العنوان، قرأها بعينه ثم دسها في جيبه واستمر في السير.

وقف متسائلًا، ثم استمر في السير.

بعد نصف ساعة أو ربما أكثر من السير على قدميه، رأى البحر تتلاطم أمواجه العاتية، أغلق أزرار معطفه، ثم أراح الحقيبة على الرمال، نظر يمينًا ثم يسارًا واضعًا يديه داخل جيبه.

وجد عدة شاليهات متراصة فوق الرمال، والأدهى أنها تحمل ذات المعالم.

فكر قليلًا ثم عبث بحقيبته وأخرج المفتاح . لقد علم كيف سيخرج من هذا المازق. سوف يدس المفتاح في كل باب، وعندئذ سيتبين أين الشاليه خاصته. إنها عملية مرهقة بعض الشيء، لكن ليس هناك حلٌ آخر. وبالفعل بدأ عمليه البحث، لا أحد يقطن هذه

الشاليهات تقريبا، تذكر أنه في الشتاء . وعلى مايبدو ليس هنالك خفير، لو لم تكن هذه الأجواء متاحة لما فعل ذلك بكل تأكيد.

وقف أمام أول شاليه ودق الباب، لكن لا رد، أولج المفتاح، لكن الباب لم يستجب. لملم حاجاته، واتجه إلى شاليه آخر ليعيد المحاولة مرة أخرى.

سار في تؤدة فوق الرمال متجهًا إلى الشاليه التالي، أولج المفتاح، لكنها كانت محاولة أخرى بائسة.

وعلى هذا، يظل يكرر محاولاته دون جدوى .كاد أن يتملكه اليأس، لكنه قرر إعادة التجربة للمرة الأخيرة. لحسن الحظ هذه المرة أولج المفتاح، وأداره، تك، تك، سمع ذلك الصوت المحبب للنفس، استجاب الباب أخيرًا. شعر بنشوة الانتصار ودلف للداخل.

ألقى حاجاته على الأرض، أضاء النور، نظر نظرة شاملة على المكان فوقعت عيناه على بعض الصور الفوتوغرافية التي تناثرت على الحائط في نظام.

تقدم بضع خطوات، ثم نظر مليًا في إحداها. إنها صورة لرجل مسن انتشر الشعر الأبيض على جانبي رأسه، إنه يعرف ذلك الرجل، يألفه، لذا خمن إنه عمه الذي لم يره منذ عشرين عامًا، لكن من هؤلاء الآخرون؟

ترك كل ذلك وبحث عن غرفة النوم. إنه يريد أن يأخذ قسطًا من الراحة بعد ما بذله من مجهود.

دخل هذه الغرفة، أضاء النور، إنه المطبخ. خرج ثم اتجه إلى غرفة أخرى، أضاء النور، نعم، إنها هي، ألقى جسده على الفراش، الذي ما زال انيقًا، مرتبًا ونظيفًا، ثم نام.

لايدري ما الذي جعله يسـ تيقظ في ذلك الوقت بالتحديد، ربما هو القلق الذي قد ينتابك عندما تبدل فراشك، أو ربما يمتلك حاسة سابعة أو ثامنة.

- ها ها ها، هع هع هعهع ، هع هع !!

ما ذلك الصوت؟

لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا كي يتبين أنها ضحكات هستيرية آتية من خارج الغرفة، هنالك من دخل الشاليه! لكن كيف؟

فكر قليلا، دون جدوى. ماذا سيفعل؟ من هؤلاء؟ كيف دخلوا إلى هنا؟! هل يخرج لهم؟

احتشدت الأسئلة في رأسه، دون أن يجد إجابة واحدة.

تقدم نحو الباب، أصغى للخارج، على ما يبدو أنهم جماعة، لذا تراجع عن قرار الخروج، أو التفاهم، جلس يفكر مرة أخرى، نظر إلى النافذة المفتوحة، واتخذ قراره، وبعد لحظات كان يحشر نفسه فيها، ثم قفز للخارج.

***

في الخارج، تساءل من جديد: هل لاحظوا أن الغرفة مضاءة؟

ثم، هل رأوا الحقيبة؟

دار حول الشاليه وهو يرمقه، لكنه لم يلحظ أي حركة بالداخل.

وقف أمام الباب ثم دقه مرارًا، لا بد أن يشرح لهم الأمر، لا بد أن يجد تفسيرًا لما يحدث، لكن احدًا لم يرد!

أولج المفتاح مرة أخرى في الباب ودلف للداخل في حذر، عندها تلقى الطامة الكبرى، لا يوجد أحد بالداخل!

جال بين الغرف باحثًا، لكن لا أحد هناك.

خيم الصمت على المكان، فقط كان يتخلله صوت الأمواج المتلاطمة الآتي عبر الشرفة. حاول أن يجد تفسيرًا لما يحدث، فلم يجد سوى تفسير واحد: وهو أنه مرهق وجسده لم يتحمل المجهود الذي بذله اليوم.

تقدم قليلًا، وجلس إلى المائدة، واضعًا يده على وجهه، نظر من خلال أصابعه ليجد بقايا كوب من الشاي قد استقرت عليها، منذ لحظات لم يكن هذا الكوب ها هنا ، فهو لم يشرب شيئًا منذ أتى! إذًا فإن أحدهم كان هنا!

نعم الآن تأكد أن ما سمعه، وما رآه كان حقيقيًا، هنا وفي هذه اللحظة بالذات، تتعالت من حوله الأصوات، أصوات قادمة من كل مكان تقريبًا!

نظر أمامه فوجد امرأة تخترق الحائط وتتقدم نحوه في تؤدة، نظر عن يمينه فوجد رجلًا قد جلس معه إلى المائدة، أومأ له برأسه في تحية، ثم سمع ذلك الصوت الذي يبدو مألوفا له، آتيًا من غرفة ما ويقول:

– لا تخف، لا تخف يا بني، نحن أعمامك وأجدادك، لا تخف أبدًا، فقط أنت مدعو على العشاء!

شق طريقه الى الخارج مسرعًا، تعثر على الرمال، ثم سقط، ثم ركض ثم.....

– تررن ترررن!

تناهى إلى سمعه صوت المنبه، يعلن عن وقت الاستيقاظ.

نهض مذعورًا، نظر حوله فوجد نفسه في شقته، لقد كان حلمًا، نعم، يبدو أنه قد أثقل في طعام العشاء.

حمد الله على كونه حلمًا، ثم نهض متجهًا إلى الحمام.

سمع جرس الهاتف يدق في إصرار، سار نحوه مخدر الذهن، التقط السماعة ليتلقى خبر وفاة عمه، ومن ثم إرثه.

PK



- حسنا، أنت تريدين تفسيرًا لما يحدث، ليكن يا مدام إحسان سوف أفسر لكي كل شيء، لكنني لست منجمًا أو حاويًا، فأنا طبيب نفسي، لذا يجب علي أولًا أن أفهم ما حدث حتى يتسنى لي تفسير حالة سمير.

هكذا تجدها قد جلست دامعة العين وهي تضيف:

- سمير ابني ليس على ما يرام، أنا أعلم هذا جيدًا، بكل تأكيد هو كذلك، لقد أخبرني بما يحدث مرارًا، لكنني لم أعره اهتمامًا ولم أصدقه حتى رايت بنفسي ما يحدث.

كان ينهض مذعورًا صارخا، مشيرًا بيده على الحائط الذي لطخته الألوان المائية مدعيًا أنه لم يفعل شيئًا.

كنت ألومه بشدة، وأحيانًا كانت العقوبة تصل إلى الصفع على خديه.

لم أكن أعلم أنها الحقيقة .

كنت أظنه يكذب كي يتملص من العقاب.

وفي بعض الاحيان، كان يدخل المطبخ فيتناهى إلى مسامعي صوت تهشم الأطباق على الأرضية، وحين أركض إليه أجده يقف متصلبًا، مصوبًا عينيه على بقايا الحطام المتناثرة على الأرض.

كنت أسبه مرارًا وأجره جرًّا من قفاه حتى غرفته.

كان يقسم أنه لم يفعل، لكن من غيره في المطبخ؟!

تصمت برهة ثم تضيف:

- أذكر أيضا أن عم سعيد البواب صعد لنا ذات مرة وكان يقبض بيده على بعض الملابس التي تخصني وتخص سمير، وعندما سألته عن كيفية وصولها إليه، قال: إنه رأى ابني سمير يقف في الشرفة وعلى ما يبدو أنه كان يتسلى بإلقاء الملابس على المارة.

حينئذ اعتقدت أنه أصيب بالخبل.

تحدثت إلى والده كثيرًا، وهو بالمناسبة يعمل في دولة الكويت منذ مولد سمير.

فكان يطلب مني تغيير غرفته أو أن أتلو عليه بعض الآيات القرآنية.

وكنت أفعل، على أن تصرفاته استمرت بلا توقف.

ذهبت به إلى أكثر من شيخ، لكن لا شيء، لم أجد سوى بعض الأحجبة وبخور الجاوي، ما زاد الأمر سوءًا هو أن سمير لم يكن يكذب نعم لقد كان صادقًا في كل شيء.

لقد راقبته، راقبته دون أن يشعر وكدت أُجن حينما رأيت الملاءة التي يدثر بها تزحف ببطء لتغطي ما تبقى من جسده، حتى وصلت لعنقه.

حاولت الصراخ ، لكن صوتي قد احتبس في حلقي. فقط ركضت نحوه وألقيت بالملاءة على الأرض ومن ثم اعتصرته بين ذراعي ورحت أبكي.

طلبت منها الهدوء والانتظار بالخارج حتى أتمكن من فحص سمير.

***

وبعد مرور ساعه تقريبا ، توجهت للخارج وطلبت منها الدخول.

بالطبع لم أخبرها أن سمير ليس سوى حالة من حالات الـ **pk** للأنني لو فعلت لملأت الدنيا صراخًا اعتقادًا منها أن ال **pk** أخطر من ال **h1n1**.

لذا جلست وأعددت لها الكثير من المقدمات قبل أن أشرح لها في هدوء:

- إن هناك ما يدعى **pk** وهي عبارة عن قدرة أشخاص معينين على تحريك الأشياء المادية وذلك بقوة تأثير عقولهم وهذا قد يتم بدون عمد.

وإن سمير لديه طاقة تدعى البولترجيست أو الروح الصاخبة.

صمت برهة كي ألتقط أنفاسي ثم أضفت:

- البعض كان يعتقد أن المسئول الأول هو الأشباح، لكن الحقيقة هي وجود أطفال صغار تكون لديهم طاقة ال **pk** ، أي: التسلط الروحي، ومن ثم تتلاشى عندما يصل الأطفال سن البلوغ، وسمير ليس سوى حالة من ضمن هذه الحالات.

تنهددت هي في استسلام ثم قالت:

- وهل تنتظر مني أن أصدق حرفًا واحدًا من هذا الهراء؟

قلت لها في حزم:

- – هذا هو رأي العلم.

- – هذا كلام فارغ . هكذا قالت .

قطعت الغرفة جيئة وذهابًا ثم أضافت:

- لن أفرض عليك رأيي، لكن ما أود قوله في النهايه هو أن سمير يحتاج منك بعض الحنان وهو ما يفتقده فيك.

فأنت تعاملينه بشدة وقسوة ومن الممكن أن يكون هذا سببًا كافيًا لمرضه نفسيًّا.

الشيء الآخر أن سمير يفتقد والده بشدة، وهذا كان جليًّا في حديثي معه؛ لذا فأرجو منك أن تخبري والده بهذا، أنا لا أطلب منه ترك عمله والتفرغ إليه ،بل أطلب منه مراعاة ابنه الذي افتقده.

أعلم أن هذا ليس من شأني، لكنه على الأقل سوف يساعده على العلاج.

أما أنا فسوف أحدد يومًا أجلس فيه مع سمير.

***

وهكذا لم تجد هي حلًّا آخر سوى أن تقتنع بما قلته لها ومن ثم تنصرف

كلا، القصة لم تنته بعد.

الآن فقط أستطيع إخبارك بالحقيقة، لكن عدني أولًا أنك لن تخبر أحدًا وبالأخص والدته. اتفقنا؟

اتفقنا؟

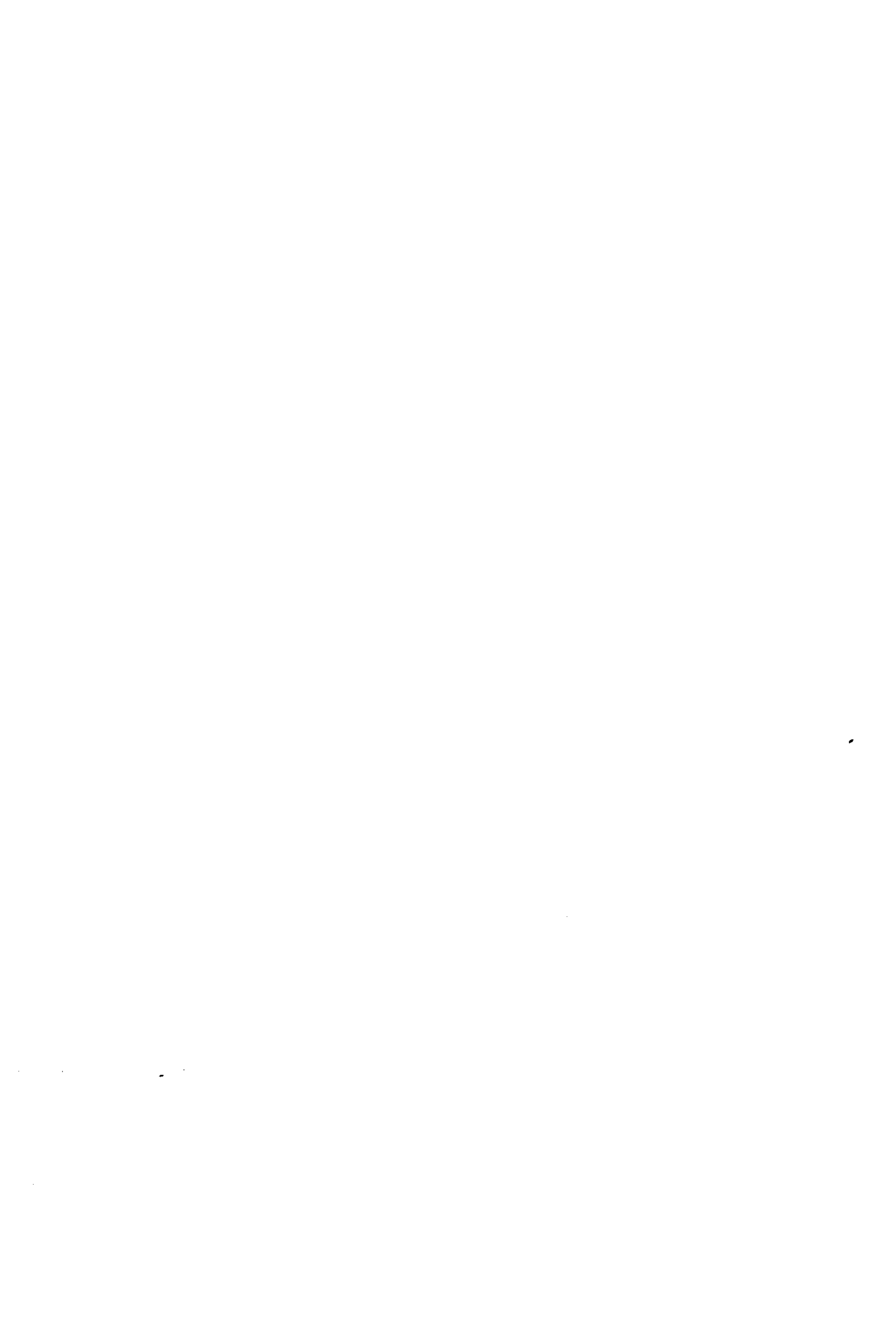
– الحقيقة التي أخبرني بها سمير هي: أن مَنْ فعل ذلك، فعله نتيجة لقسوة والدته عليه، وبعد والده عنه.

الحقيقه أن سمير مريض، مريض ويحتاج إلى علاج نفسي وسوف إعالجه بكل تأكيد.

أراك تتساءل: وماذا عن الملاءة؟

أقول لك همسًا ربما كان ذلك بفعل الأم ، لكن ما أدراني؟

فأنا لست منجمًا أو حاويًا.



إنهم يدعونها:

Ailurophobe

– إنهم يدعونها: ***ailurophobe*** والبعض الآخر يطلق عليها، رهابًا.

– حسنا ، أنتم تريدون قصة توضح ذلك أو تقترب من ذلك .

ليكن، سوف أحكي لكم قصه هند، هند صديقتي،وهي تعاني، أقصد كانت تعاني من ال ***ailurophobe*** وهو من أشهر أمراض الفوبيا أو الرهاب كما يحلو للبعض.

أما عن قصتها فيمكن تلخيصها في الآتي:

كانت هند تعود إلى منزلها في تمام العاشره مساءً.

هانئة بما أنجزت في يومها، تتناول طعام العشاء ومن ثم تذهب في سبات نوم عميق.

إلى أن جاء ذلك اليوم،

كانت عائدة لتوها من العمل، صعدت الدرج، بحثت عن المفتاح في حقيبتها ومن ثم أولجته في باب الشقة.

عندها دققت النظر أكثر، فأكثر لتجد قطة ضالة وبجوارها صغارها، اثنتا عشرة هرة تقريبًا، قد تكورن حول أنفسهن، وأصدرن موائًا هادئًا.

لم تحاول الصراخ ، كي لا تبدو حمقاء أمام الجيران إلى حد لا يصدق.

كادت أن تفقد الوعي، لكنها لملمت شجاعتها، وفتحت باب شقتها ووثبت للداخل بحذر، ثم أغلقته.

اتجهت الى المطبخ، قبضت بيدها على عصا المكنسة كنوع من الحماية البلهاء، ثم توجهت للخارج مصوبة تلك العصا في اتجاه تلك العائلة التي تستقر خلف باب شقتها.

والنتيجة، فرار جماعي.

***

تكرر ذلك الموقف مرارًا،

وفي كل مرة كانت هند تستخدم ذات الطريقة، العصا.

إلى أن جاءت الليلة الموعودة، التي استجمعت فيها كل ما أوتيت من شجاعة، لا بد من مواجهة أي خوف للعلاج منه.

لا تعلم أين قرأت أو سمعت هذه العبارة، لكنها ستعمل بها على كل حال. ،

هكذا قررت.

ومن ثم، قطة محلقة في الهواء في طريقها إلى بئر السلم، وركلة في أحشاء ذلك الصغير وهذا، وذاك.

إإلى أن انتهت المعركة وانتصرت هند ، أو هكذا ظنت.

جففت جبينها، ودلفت للداخل في يقين منها أنها قد استراحت،

***

في صباح اليوم التالي، لا، لم يكن في الصباح، بل عند عودتها من العمل.

صعدت الدرج، وبحثت عن المفتاح، هن--ا صُع-ق-ت!

لقد رأت القطط، عائلة القطط، راقدة، تتحرك، وتصدر مواءً.

ظنت أنها جنت أو أن هذا نتيجه الإرهاق.

لكنها تراهم جيدًا!!

فكرت في أنها لم تحسن ضربهن ليلة أمس.

المهم انها غابت في شقتها، لتعود وهي تحمل العصا.

ومن جديد صوبت تجاه القطط؟

لكنها لم تجد شيئًا!

لقد اختفت تلك القطط!

دلفت هند إلى الداخل بعد أن قررت أنها تهذي، ويجب أن تنال قسطًا من الراحة، وبعدها ستكون على ما يرام، بكل تأكيد.

وعلى العكس ما حدث،

لقد جاءتها الأم ، أقصد أم القطط طبعًا.

لقد جاءتها في أحلامها وتحدثت إليها قائلة:

مثلما سلبت مني حياتي وصغاري سوف أسلبك حياتك يا هند، ولا تنسي أن لي سته أرواح أخرى متبقية.

نهضت مذعورة، وقررت أن ذلك ليس سوى تأنيب ضمير، فضميرها يؤنبها على ما اقترفت ليلة أمس.

من هنا ، اشتركت أنا في القصة بعد أن حكت لي هند ما حدث.

بالطبع حاولت تهدئتها، وأخذت أذكر لها عدة مبررات تكفي لإقناعها بأن ما يحدث لها طبيعي بعد أن قتلت القطط، وكم من شخص قد قتل هرًّا، ولم يحدث معه مثلما حدث معها.

لكنها أضافت :

إن هذا ليس كل ماحدث، فقد بدأت أشعر أن هذه القطه تراقبني، معي دائما، أسمع مواءها الهادئ، والغريب أني أصبحت، وكأنني أشعر بما تشعر به القطط!

كيف؟

قلتها مستفسرة، فنظرت إلي وأردفت:

- لقد زادت شهيتي للحليب، بالإضافة إلى أنني كنت أهاب الفئران، والآن أركض خلفهم.

***

إلى هنا، توقفت الأحداث التي أعلمها تقريبًا عن هند.

إلى أن قرأت ذلك العنوان، في جريدة ما صباح يوم الجمعة، مصرع فتاة من المعادي في ظروف غامضة.

أما عن التفاصيل، فذكرت أن الفتاه كانت تدعى هند وكانت من هواة القطط،

فقد عثر في شقتها على اثنتي عشرة هرة!

فهل تعتقدون أنها هند صديقتي؟! .

مياااووووووو!!

عذرًا إنها قطتي هند، تريد الحليب!

إنهم 13

قد تصدقني أو لا،لن أفرض عليك شيئًا لأن هذا من حقك، ولك حرية الاختيار المطلقة.

لكنني مصر على أن تصغي إلي أولًا ، ثم تدلي برأيك كيفما شئت،

– اتفقنا؟

– اتفقنا.

أنا صحفي في جريدة العاصمة والناس، جريدة ليست مشهورة، لكنها جيدة بالنسبة لي ما دمت أتقاضى مالًا، اسمي: كمال الدين، أعزب، لذا أرتاد مطعمًا من المطاعم التي تستقر خلف الجريدة.

بدأت القصة يوم الثلاثاء، عندما كنت في المطعم، أجلس لأتناول وجبة الغداء في نهم، وأتابع من حين لآخر مباراة ما لفريق ما في كره القدم، وعلى ما يبدو أنها كانت مهمة؛ نظرا لالتفاف الجميع حول الشاشة، بالإضافة إلى الحركة غير العادية التي دارت في المطعم.

كنت قد اعتدت الجلوس إلى المائدة التي تحمل رقم **13**، وهي بالمناسبة تقع في نهايه المطعم.

لكن هذه المرة، كان هناك شيء ليس على مايرام في هذه

المنضدة.

على ما يبدو أن أحدهم كان يجلس إليها وراح يعبث بشيء ما على غرار مدية أو شوكة مما أدى الى كتابة ثلاثة حروف وهي ع - ص - ا في صف مستقيم على هيئه حفر:

ع ص ا

ضايقني ذلك المشهد واضجرت قليلًا، كثيرون هم من يفعلون ذلك،

من المؤكد أنك رأيت ذلك المشهد من قبل، إن لم يكن على منضدة في مطعم، ففي مقعد في أتوبيس، أو حتى في دورة مياه عمومية.

فقط، تأمل الجدران فسوف تجد من راق له خطها واتخذ منها تابلوهًا، وأخذ يخط عليها بعض الأسماء وبعض النقوش، والتي ربما تخدش الحياء.

على العموم لم يمر هذا الموضوع أمامي مرور الكرام، فقد اتخذت منه موضوعًا ووضعته في مقال بالجريدة.

***

في اليوم التالي، لم أُعر ما حدث اهتمامًا.

فقط، هي ظاهرة كتبت عنها ومرت، لذا أنهيت عملي بالجريدة

وذهبت إلى ذلك المطعم ومن ثم ذات المائدة.

لكن هذة المرة كان عليها شرشف أنيق ومزهرية.

جاء النادل الذي يدعى طه، وطلبت منه ما أريد.

وبعد قليل ، كنت منهمكًا في الأكل.

لا أعلم ما الذي جعلني أتوقف عن الأكل وأتذكر ليلة أمس، فألقيت بالملعقة جانبا، وأنا أنظر حولي كي أتاكد أن لا أحد يرمقني، ثم رفعت الشرشف ببطء، لأجد أن تلك الحروف قد زادت حرفًا وهو الميم.

لقد صارت إذًا اسمًا مفهومًا، عصام.

هنالك من يدعى عصام، وهو يأتي إلى هنا، ويجلس إلى تلك المائدة، ويسلي نفسه ، ويترفه بنقش حروف اسمه عليها، وماذا هنالك؟

لا شيء، فالمخربون كثر.

أعدت الشرشف كما كان، وأكملت غدائي وانصرفت.

عدت إلى شقتي، وأنا أفكر في كتابه مقال آخر أتحدث فيه عن هذه الظاهرة، وكيفية التخلص منها.

جلست أشاهد التلفزيون قليلًا، وبعدها دلفت إلى الفراش ومن ثم غلبني النعاس.

***

عادة أنا لا آكل كثيرًا في العشاء، أو ربما لا آكل أصلًا لتزورني الكوابيس، أو من الذين يعتقدون في هذه الأمور، لكن هنالك بعض الأحلام تستحق أن تذكر، أو تروى إذا كانت غريبة بعض الشيء، أو إذا كانت لا تخصك أصلًا.

فذلك الحلم الذي رأيته، كان يبدأ بذلك الفتى الأشقر، يسير في طريق ما، على ما يبدو أنه بالقرب من جامعة القاهرة، نظرًا لصوت دقات الساعة الذي تناهى إلى مسامعي.

ثم يتوقف ليعبر الطريق وعندها تصدمه سيارة مسرعة.

نهضت لاهثًا، كأنني كنت أمارس رياضة ما، وتجرعت كوبًا من الماء.

وعدت مرة أخرى للفراش.

***

مرت ثلاث ليال، وفي كل ليلة أحلم بذات الحلم، الذي يبدأ بالفتى وهو سائر وينتهي باصطدامه بالسيارة.

أنا لا أؤمن بالخزعبلات، وهذا طبعي، لكن تكرار ذلك الحلم لم يطمئني على الإطلاق؛ لذلك اهتممت بتفسيره وحاولت كثيرًا، لكنني لم أنتهِ من المزاح والسخف، فالبعض عزاه إلى طول عمري والبعض الآخر إلى قصره، وخذ عندك.... إلخ، بالطبع لم أقتنع بأي منها.

وبعد انتهاء العمل ذهبت مرة أخرى إلى المطعم، وهذه المرة سأختصر عليك الوقت،وسأبدأ من لحظة رؤيتي للنقوش التي تزايدت.

كما توقعت تمامًا، لقد زادت الحروف بعدد الأيام حتى صارت (عصام محمد ديسمب).

د	م	ا	ص	ع
ى	ح			
س	م			
م				
ب	د			

بالطبع هذه الأخيرة ليست سوى شهر ديسمبر.

لكن لماذا ينقش الحروف راسمًا الرقم (**12**)؟

لا بد أن هناك من يريد قول شيء، لكن ما هو؟

وأين هو؟

***

في اليوم التالي، قررت عدم الذهاب للجريدة والتوجه مباشرة إلى المطعم، والمكوث فيه منذ الصباح.

تناولت طعام الفطور وسألني طه عن سبب مجيئي صباحًا، ومن ثم تغييري للمائدة، لم أصدقه القول بأنني فعلت ذلك من أجل مراقبة شخص ما لا أعرفه، وهو ينقش على مائدة مطعمهم.

فاخترعت له عدة أسباب واهية، وانصرف غير قانع.

مرت ساعة تناولت فيها طعام الفطور ولم يحدث شيء، ومرت

أخرى، دون جدوى، كل ما يذكر هو جلوس تلك الفتاة السمراء للتناول طعام الفطور، وبعدها انصرفت دامعة العين!

نظرت في ساعتي فوجدتها العاشرة صباحًا.

ذهبت إلى الحمام، وعدت أرمق المائدة مرة أخرى،لا أعلم، ما الذي دفعني كي أنهض من مقعدي، وأتوجه إليها وأزيح الشرشف، لأجد ماكنت أنتظره!

لقد اكتملت الجملة تمامًا بإضافة حرف الراء.

من نقش ذلك الحرف؟!

لا تقل لي من فضلك: إنها تلك الفتاه السمراء، فأنا راقبتها جيدًا.

أشعلت لفافة من التبغ، جلست أرتب أفكاري كي أتخذ قرارًا أقرب إلى الصواب.

هنالك من يدعى (عصام محمد)، هنالك شهر ديسمبر، الحروف تدل على الرقم **12**، عدد الحروف ثلاثة عشر، الحروف تدل على رقم (**12**).

عدد الحروف ثلاثة عشر، فهنالك شخص يقتل في حلمي مائة مرة. هنالك مكان بالقرب من....

- يا لي من أحمق،!

هكذا صحت بعد أن اكتملت الفكرة في عقلي.

ماذا لو ربطت تلك الأفكار، وجمعت ما يحدث في حلمي مع ما يحدث هاهنا؟!

عندها جاءني الحل كالصاعقة، إنها رسالة، وربما تعني، أن هناك من يدعى (عصام محمد)، وأنه ربما يصدم من قبل سيارة ما، بالقرب من جامعة القاهرة، وأن هذا سوف يحدث في يوم، مم ..... ربما، الثالث عشر نسبة إلى عدد الحروف، من شهر ديسمبر ، في تمام الساعة... أعتقد أنها الثانية عشرة ظهرًا لو نظرنا إلى طريقه نقش الحروف، التي ترسم الرقم **12**.

– يا لى من أحمق!

اليوم هو الثلاثاء، الثالث عشر من شهر ديسمبر.

إذاً هو الميعاد اليوم على حد علمي،

نظرت في ساعتي، فوجدتها العاشرة صباحًا، أي أن ما سيحدث، بعد ساعتين من الآن .

ركضت إلى الخارج، دون أن أدفع الحساب، واستقللت سيارتي متجهًا إلى جامعة القاهرة، أملًا في إيجاد أي شيء يدل، على صحة توقعاتي.

أخذت أنهب شوارع الجيزة نهبًا بسيارتي، دون أن أبتعد عن نطاق جامعة القاهرة.

مر من الوقت حوالي ساعة ونصف، دون جدوى.

كدت أفقد الأمل، وأعود أدراجي لولا أن لمحت ذلك الفتى

الأشقر الذي بدا لي مألوفًا!

إنه ذلك الفتى الذي رأيته في أحلامي مرارًا!

أوقفت المحرك، ثم توجهت إلى الخارج نحوه.

في هذه اللحظة، رأيت تلك السيارة السوداء، تتجه ناحية الفتى في إصرار، إنه ذات المشهد الذي تكرر أمامي عشرات المرات، لكنه الآن حقيقة ترى بالعين.

الآن سوف يتقدم الفتى وبعدها يتلقى الصدمة .....

لكنني لن أدع هذا يحدث بكل تأكيد؛ لأنني رحت أركض تجاهه، ومن ثم وثبت في الهواء، قابضًا بيدي على كتفيه، وملقيًا بنفسي وبه على الأرض.

ومرت السيارة أمامنا في سلام.

نهضنا معًا بعد أن شكرني، ثم نظرت له متسائلًا عن اسمه.

فأجابني أنه يدعى (عصام محمد)!!

تنهدت في استسلام وانصرفت بعد أن عرضت عليه المساعدة.

وبدوره شكرني مرة أخرى ولملم أوراقه وانصرف.

الآن انتهت قصتي بكل تفاصيلها.،

هل وجدت تفسيرًا، لما حدث؟

بل السؤال الأهم: هل تصـــدقني الآن ؟

اقتباس



نحن الآن في بريطانيا، بالتحديد في ليفربول، عام 1954.

أما المكان فهو مكتبة (ستانلي رولز)، التي تقع على قارعة الطريق.

ولو تقدمت قليلًا، لرأيت ذلك الكهل ، الذي يتخذ دور الحارس الليلي، يهرع أو سولت له نفسه هذا ، كي يوقظ أمين المكتبة، الذي تراه الآن أمامك بوضوح، وهو شاب في مقتبل العمر، الآية معكوسة، بالطبع.

نهض الشاب، وبدوره هرع إلى المكان الذي يقوده إليه الكهل.

هنا!!

رأى المشهد بكل وضوح،

ذلك الضوء الأحمر الذي يتراقص، معلنًا عن نشوب حريق هائل في القسم رقم 3.

وهو قسم الكتب القديمة البالية.

فكر قليلًا ومن ثم هرول ليطلب رجال الإطفاء.

لكن، إن انتظر مجيئهم فستصبح المكتبة هباءً منثورًا،

فلم يجد سوى أن يلقي بنفسه وسط النيران محاولًا إخمادها.

ماذا عن الكهل؟

إنه خرج ليطلب مساعدة من أتعسه حظه العاسر بالمرور من أمام هذه المكتبة. .

أما ما خلفه الحريق، فلحسن الحظ لم يصب أحد، لكن وبكل تأكيد راح فيه الكثير من الكتب والمخطوطات، أما عن سبب الحريق، فهو ماس كهربي، نعم، ماس كهربي، إن لم تعلم السبب وراء الحريق فلتقل: ماس كهربي.

***

عام *1990*.

– هل لي أن أري تحقيق الشخصية الخاص بك؟

قالها الشرطي ذو الشارب الكثيف ل-روان، الذي ارتبك قليلًا، ومن ثم دس يديه في جيبيه وأخرج للشرطي ما يريد.

نظر الشرطي بدوره إلى هذه الأوراق، ومن ثم أضاف وهو يعيدها إليه مرة أخرى.

– حسنا يا روان تفضل.

فأخذ الفتى أوراقه ومضى في طريقه.

وفي المساء، اجتمع هو وأصدقاؤه الثلاثة كالعادة ليتعاطوا الماريجوانا ويشربوا الخمور في منزله.

– ما برنامج الليلة؟

قالها هارسون، وهو يتجرع آخر ما تبقى من خمر في كأسه.

فيجيبه روان، وهو ينهض مترنحًا وبعدها يعود بكتاب ما ، قد فُقد معظم صفحاته:

– رجل الحلوى.

– من؟

قالها توماس وأضاف:

– وما هذا الكتاب؟

أجابه روان في شغف:

– سنستدعي رجل الحلوى!

– أنا أعلم من هو رجل الحلوى.

قالها رابعهم في سخرية ويدعي سباستيان وأضاف:

– هو، من يبيع الحلوى، أليس كذالك؟

ضحك الجميع، وبصق بعضهم.

نهض روان مرة أخري، لكن هذه المرة يعود حاملًا مرآة ضخمة، يسندها إلى الجدار.

سأله سباستيان :

– ماذا تفعل؟

أجابه روان قائلًا:

– الأسطورة تقول: لكي نستدعي (رجل الحلوى)، يجب أن يقف أحدنا أمام هذه المرآة، ويصيح بأعلى صوته قائلًا اسمه، ومرددًا إياه خمس مرات متتالية،

كندى مان، كندى مان، الى آخره.

صمت الجميع ونظر بعضهم إلى البعض في عدم فهم، وقال هارسون:

ومن كندى مان؟ أو رجل الحلوى هذا؟

أجابه روان:

– إنه سفاح من القرون الغابرة، وهذا الكتاب يروي أسطورته بالتفصيل وطريقة استدعائه بالكامل.

يصمت برهة ثم يضيف:

بالمناسبة:

– (لقد سُرق ذلك الكتاب من مكتبة ستانلي رولز بعدما احترقت)، فهيا نجربها.

ينظرالى الجميع ثم يضيف في خبث واضح :

– أم أنكم ،خائفون؟

أجابه الجميع ما عدا توماس ، الذي اكتفى بالصمت:

– نحن نخاف؟! بالطبع لا.

صوب نظره إلى توماس في نظرة توحي بأنه الخائف الوحيد،

نهض توماس وقد تملكه الحماس، ثم وقف أمام المرآة، وصرخ:
- كندي مان، كندي مان، كندي مان!

صمت قليلًا ، بعد أن أثبت أنه شجاع، ثم صرخ مرة أخيرة:

- كيندي مان، ينظر إلى روان.

و أشار إلى المرآة بيديه ثم أضاف:

- لم يحدث شيء.

تبادل الجميع النظرات، بعد أن تملكهم الرعب، لكن لاشيء.

ومرت الأمسية دون أحداث تذكر.

***

في الليلة التالية، في مترل روان، كالعادة اجتمع الجميع ما عدا توماس، وهذا ليس ديدنه، فهو من يأتي إلى المترل أولاً، انتظروا، وانتظروا، لكن لا شيء.

يبدو لهم أن في الأمر شيئًا مريبًا. لم تمضِ هذه السهرة بنفس المتعة المعتادة،

نعم، فهنالك عضو ناقص؛ لذلك يطلبون من هارسون، أن يذهب ليري إن كان توماس في شقته أم لا؟ فهي قريبه منه علي أي حال.

ومرة أخرى، انتظروا، وانتظروا، عندها تلقوا الطرقات!

- تاااك، تاااك،تاك، تااااك.

سمعوا قرعًا على الباب. هناك من سيحطم الباب بيديه.

نهض سباستيان ليستجيب ويفتح الباب، دلف هارسون للداخل، وأغلق الباب والتقط أنفاسه، ثم أضاف:

- مذبوح، لقد ذبحه، رجل الحلوى، ذبحه، الدماء في كل مكان.

صمت ثم انهمرت الدموع من عينيه، بعد أن فقد أعصابه تمامًا، وأردف:

- سوف يأتي علينا الدور، سوف نموت، كلنا سنموت، سوف يقضي علينا واحدًا تلو الآخر.

بدأ روان يهدئ من روعه، وهو ينظر لسباستيان نظرة ذات معنى وأضاف:

- ما العمل؟

قاطعه سباستيان قائلًا:

- ما العمل؟ العمل هو أن نختفي جميعًا ولنتفرق، ونتصل بالشرطة من الخارج حتى لا يرتاب فينا أحد.

- لكن هذا لا يمنع من أن الشرطة سوف تستدعي أحدنا، أو تستدعينا جميعا.

قالها هارسون، بعدما هدأ، ثم أضاف:

- لكننا سنموت، الشرطة ليس لها أهميه الآن؛ لأننا سنموت، سيقضي علينا رجل الحلوى.

- أجننت؟!

قالها سباسيتان وأضاف:

- إنه أسطورة، هذا مزاح لا أكثر ولا أقل.

- وماذا إذا كان حقيقة؟

صمت الجميع، فقال روان قاطعًا ذلك الصمت:

- سندع ذلك الموضوع الآن ولنختفِ جميعًا.

ومرت الأيام، وقيدت القضية ضد مجهول.

وبعد الحادث بأيام حدث الآتي:

كان سباستيان، عائدًا لتوه من عمله، يحمل في يده حقيبته، بداخلها حاجاته، كانت الساعة تقترب من الرابعة صباحًا، لا أحد في الطرقات، لا أحد سوى بعض المخابيل ربما واحد،أو اثنين.

الآن وصل إلى مفترق الطريق، قليلة هي تلك الأوقات التي يعود فيها متاخرًا من عمله.

بدأ المطر في التساقط بكثافة على الطرقات ليصنع الأوحال؛ مما زاد من الأمر صعوبة وسوءًا، بعدها بقليل، سوف يصل، لكن، لا بد من المرور أسفل ذلك الجسر، اعتقد أنه الجزء الأصعب في الطريق كله، فعلى جانبيه تراصت القمامة، بالإضافة إلى انعدام الإضاءة، ووجود الكلاب الضالة.

قفز في الهواء من جراء نباح كلب ما، ليس إلا.

ابتسم خجلًا ، واستمر في السير، الآن شعر بمن يسير خلفه توقف برهة، التفت إلى الخلف،

أجال عينيه باحثًا عن شيء، لكن لا أحد، لا شيء سوى صوت المطر، نظر على بعد، أيضًا لا أحد، اعتقد أنها هلوسة ليس إلا، أعاد نظرة إلى الأمام، عندها، رآه!!

نعم، لم يتبين ملامحه جيدًا، لكنه يعلم أنه هو، بمعطفه الأسود الذي هطل عليه المطر فيجعله أملس،

صوب نظرة على يديه، فوجده ممسكًا بمنجل ناصع البياض، وقبل أن يحاول التفسير أو الهرب، كان المنجل قد شق طريقه متجهًا إلى أحشائه؛ ليرسل به إلى العالم الآخر.

ومرة أخرى قُيدت القضية ضد مجهول، لكن الصديقين، يعلمان الفاعل الحقيقي، يعلمانه جيدًا.

– إنها فكرتك، لقد أخبرتكم أنه عاد، ما الذي سنفعله الآن؟ أخبرني، هه.

قلها هارسون إلى روان،وهما يسيران معًا في الطريق ومن ثم أضاف:

– لا تتركني بمفردي، لا بد من أن نكون معًا، لا يجب أن نفترق.

– نعم لن أتركك، لكن اذهب أنت إلى المترل وسوف أعود إليك، لكن أولًا، يجب أن أخبر الشرطة.

قالها روان، وهو ينصرف.

وفي المساء، عاد روان إلى بيت هارسون، اجتاز الحديقة، كان هناك هدوء تام، صمت مخيف، ثم إن باب المترل مفتوح!

أشهر مسدسه الخاص، دلف إلى الداخل بعد أن صاح:

– هل من أحد ها هنا؟، هارسون هل أنت هنا؟

سار ببطء داخل المترل و نادى، لكن لا مجيب، سمع صوتًا ينبعث من الطابق العلوي، هرول إلى مصدره، قرع الباب، لا أحد.

أزاح المزلاج، ومن ثم اختبأ خلف الباب، نادى مرة أخرى، لكن لا أحد!

دلف للداخل، بحث عن مفتاح الإنارة، و بعد أن وجده ضغط عليه ليضيء الغرفة، الآن رأى صديقه، رأى هارسون يئن ويزحف ببطء نحوه، والدم يسيل من فمه! نظر إليه في ذهول ولم يدرِ: ماذا يفعل؟

هرول إليه فزاد من أنينه، أراد أن يسأله: من فعل ذلك؟ لكنه شعر بشيء ثقيل يهوي على رأسه، فأفقده الوعي، عندها انطلقت هذه الكلمة:

– كاااااات!!

من فم المخرج معلنة انتهاء التصوير، ومن ثم تعالى صوت الهتاف والتصفيق، نهض روان، وعلى وجهه علامات السعادة وتوجه إلى المخرج ليصافحه، و نهض هارسون، وأخرج قدمه من البنطال.

***

وسط هذا الزحام، نرى عامل الإضاءة يتحدث إلى آخر ويسأله:

- هل رأيت فيلمًا مماثلًا؟

فأجابه الآخر:

- نعم، بكل تأكيد.

- إذًا هذه سرقة.

قالها عامل الإضاءة فأجابه الآخر:

- هذا في دينك ومنهجك! بينما عندهم تُسمى اقتباسًا.

في الثالث عشر من شهر يوليه



- لا أذكر ما حدث بالضبط، فقط أذكر صوت الارتطام، نعم، أذكر هذه اللحظة جيدًا، كان الجميع ينتظرها، الجميع كان يعلم أن هذا سوف يحدث.

كان في الثالث عشر من شهر يوليه، أذكر هذا جيدًا، لأن العالم بأكمله تحدث عنه، كل وسائل الإعلام تنقل ذات الخبر:

نيزك يقترب من الأرض!!

أما عن التفاصيل، فلا أذكر شيئًا تقريبًا، هكذا استفقت على ضوء أشعة الشمس.

- أين أنا؟ أو كم الساعة؟ ثم، هل هناك ناجون غيري؟ فقط إجابة واحدة لا أعلم غيرها وهي:

لا أعلم!!!!

أعتقد أنني ما زلت في مصر، صحيح أن المنازل أصبحت مشوهة المعالم؛ لكن بقاياها تؤكد أنني ما زلت في مصر، يبدو أن زمنًا قد مر وأنا فاقد الوعي.

استفقت وكل عظمة في جسدي تلومني على ما ألم بها، لم أستطع النهوض؛ لكنني حاولت مرارًا حتى فعلت،كنت مستلقيًا على قارعة

الطريق وضوء الشمس وحرارتها قد أحالت لوني إلى الأسود من فرط شدتها، فخمنت أنني في الظهيرة، على ما يبدو أن الأرض ما تزال تدور حول الشمس،أو ربما توقفت حركة الكواكب وظلت الشمس ساطعة إلى الأبد.

أما عن الطريق، أقصد ما تبقى منه فلا يصلح إلا للسير على الأقدام، أما غير ذلك فيعد من المستحيل، فقط تخيل أن غودزيلا قد خرجت من باطن الأرض.

– كان الشفق قد دنا؛ لا بد أن أجد مأوى، بدأت أسير في تؤدة باحثًا عن ضالتي،تعثرت ثم سقطت، تعثرت ثم سقطت، ثم، لمحت ذلك المترل.

لم يكن على حالته بكل تأكيد، فقط قد حل الخراب بنصفه العلوي فحسب؛

مما جعل نصفه السفلي يصلح كمأوى على الأقل اتجهت ناحيته في تؤدة ثم قرعت الباب، وأنا أعلم جيدًا أنني لن أجد أحدًا بالداخل، لكنني قرعتة كي أتأكد من ذلك فحسب، فربما كان هناك ناج آخر مثلي، على كل حال، لم تلقَ طرقاتي تلك إية استجابة، فجربت المزلاج الصدئ، فوجدت أن الباب غير موصد بالداخل!

شممت رائحة دخان لكنها كانت خفيفة نوعًا ما!

توغلت اكثيرًا بالداخل، فوجدت منضدة ومقاعد، وبعض كتب لم أستطع قراءة

عناوينها في الضوء الخافت، اتجهت إلى المطبخ، لأجد مائدة وضع عليها بعض أرغفة الخبز غير الطازج بالمرة، لكن ما أثار انتباهي بحق هو ذلك الإناء الذى وضع على الوقد المشتعل، مما دل على وجود ناج آخر، هناك آخرون بكل تأكيد!

صحت بأعلى صوتي:

- هل من أحد بالداخل؟

انتظرت قليلًا حتى تأتيني إجابة، لكن لا شيء، لا شيء سوى الصمت.

نظرت عن يميني لأجد بابًا موصدًا، هذه المرة فتحته دون أن استئذان،

بالداخل، لم يكن هناك ضوء كاف، لكن الرائحة التي انبعثت من الداخل كانت كافية لقتل أي كائن حى، كانت رائحة عفنة مقيتة، لا تطاق بالمرة، حاولت محاولة بائسة إضاءة المصباح الكهربي، لكنها بائسة كما أخبرتك، هناك كشاف لا بأس به يمكن استعماله، تقدمت ناحيته، وأضأته، فانتشرت

أشعته لتنير المكان أمامي، وكانت الصاعقة!

في هذه اللحظة، ازدات دقات قلبي، وارتعدت، وتراجعت خطوات إلى الخلف من هول ما رأيت!

***

كان هناك حشد من الأجساد البشرية ، التي تراصت فوق بعضها البعض في نظام، وقد تناثر عليها الثلج في كل مكان، وقد تحول معظمه إلى مياه باردة تسري على تلك الأجساد الممدة!

بالطبع لم أضطر إلى البحث عن أي تفسير كي أوقن أنها جثث، وأن هناك من يريد أن يحافظ على هذه الجثث من التحلل، لكن لَمَ ؟!

فكرت قليلًا، لكني لم أجد سوى إجابة واحدة، أصابتنى بالهلع، وجعلتني أرتجف! قررت أن أغلق الباب، وأهرع إلى الخارج ، لولا أن تناهى إلى مسامعي صوت خطوات لا يمكن أن تخطئه، مع ما بدا فيها من ثقة.

أغلقت الباب وأنا بالداخل، عندما سمعت دنو الخطوات من المطبخ، لم تكن خطوات شخص واحد، هذا ما تيقنت منه، عندما أصبحوا داخل المطبخ.

لم أجد مفرًّا، لم ما أجد ما أفعل سوى أن أغلق الكشاف و....و...أنام وسط هذه الجثث!

***

أعلم أنها فكرة سيئة، لكن ليس هناك سواها، على الأقل الآن.

سمعت صوت تحرك المزلاج ، وانفتح الباب، نظرت في توجس دون أن أحرك جفنًا واحدًا، ثم بعد لحظة ظهر عند فرجة الباب شكلان بالتحديد:رجل وامراة، لم يمنعني من إطلاق الصراخ إلا خوفي الشديد،هندامهما الفظيع وقذارتهما جعلا من منظرهما الرعب ذاته، أما عن الذي ارتدياه فهذا شيء لا أستطيع الإمساك به،كانا يحملان

جسدًا أو بالأحرى جثمانًا، ثم ألقيا به وسط الثلوج، تحدث أحدهما للآخر معلنًا عن الاكتفاء بهذه الكمية من الجثث، فهي وليمة لا بأس بها، قد تكفي لبضع سنين. ثم أغلقا الباب وانصرفا، نهضت وأنا أحمد الله على عدم رؤيتهما لي، فكرت قليلًا فيما ينبغي علي فعله، ثم نظرت حولي فلم أجد سوى ذلك الشيء المعدني الشبيه بالرفش، فمددت يدي وفي نشوة عارمة ضممت قبضتي عليها واستعددت للمواجهة .

ربما تظنني مجنونا، أو أن فكرة البطولة قد راقتني، لكنني سأدهشك عندما أقول لك: إنه لا يوجد حل آخر لدي، دققت الباب وانتظرت خلفه، كنت أشعر بان دقات قلبي تتسارع، وأنه يكاد أن يقفز من بين ضلوعي.

قطعها صوتها الباب وهو يُفتح، ثم ظهر شخص لم أتبين إن كان الرجل أم المراة.

فقط أعطى ظهره لي، لم أجد فرصة أفضل كي أنقض عليه وأهوي عليه بذلك الرفش! أطلق صرخة مكتومة، وبعدها تهاوى جسده على الأرض.

حدقت للمشهد في فزع وقد استقر ذلك الرفش في رأس ذلك الشيء!

نعم، للدقة الشيء.

ثم قبضت مرة أخرى على ذلك الرفش وانتزعته، وركضت نحو باب الخروج .....تعثرت ....وتعثرت، وانتظرت أن يمنعني أحد، لكن لحسن حظي لم يحدث هذا ولحسن حظي ايضا أن باب المترل لم يكن موصدًا .

- قصة لا بأس يا شريف!

قالها ممدوح ، وهو يضع أوراق القصة على المكتب ثم أضاف:

- أريد منك أفضل، فأنا أعلم أن لديك أفضل.

رجاء.. عدم فتح الغرفة



الأحد 14 مارس.

– لا أعلم ما الذي جعلني أدون مذكراتي؟ ربما هو الملل الشديد الذي يحيط بي، سواء أكنت في عملي أم في شقتي، أو ربما تخيلت أهميتها في يوم من الأيام.

– اسمي: مدحت السيد صادق، حارس عقار، وطبعًا هذا لا يعني أن معي مؤهلًا عاليًا، سني يناهز الثلاثين تقريبًا،عزبًا! أمتلك شقة ورثتها عن والدي، لكنها في إحدى القرى، بالإضافة إلى بُعدها عن مقر عملي، لذا أقطن في شقة بالإيجار في حي ما بالمطرية، وقررت في الأيام الأخيرة بيعها.

***

الاثنين 15 مارس.

اليوم اتصل بي عم عويضة، ليخبرني بأن هنالك مشتريًا يريد أن يشتري الشقة، والثمن قريب مما طلبته منه. وافقت على الفور، وسافرت إلى القرية لأتمم عملية البيع، ثم عدت بعد ذلك إلى شقتي في المطرية، وأنا أحمل في جيوب معطفي مبلغاً لا بأس به.

بالطبع لم أذهب إلى عملي اليوم ــ وجلست لأدون مذكراتي في المترل، عند السادسة تماماً دق جرس الباب معلناً عن قدوم شحاتة درويش صاحب العمارة مطالبًا اياي بخفض صوت المذياع. بدوري صحتُ في وجهه معلنًا احتجاجي على كلامه.

على كل حال هذه ليست المرة الأولى التي يحدث فيها ذلك. وهذا ما أشعل الحماسة في داخلي كي أبحث عن شقة تمليك تصلح للسكن، ومن ثم تكون بالقرب من مقر عملي.

الثلاثاء 16 مارس.

بدأت تنفيذ الفكرة، ومن ثم، قتلت النهار بحثاً عن الشقة، لكن محاولاتي باءت بالفشل، فاضطررت للمكوث يوم آخر في شقة شحاتة درويش.

***

الأربعاء 17 مارس.

لا يوجد سوى الإحباط.

***

الخميس 18 مارس.

تحدثت مع صديق لي في العمل، فأخبرني أن هناك شقة مناسبة لي تمامًا في حي ما بعين شمس، وخطَ لي عنوانها في ورقة.

***

الجمعه 19 مارس.

هذا اليوم كان مليئاً بالأحداث، في العاشرة صباحًا ذهبت إلى ذلك العنوان. قال البواب: إن هنالك شقة خالية بالفعل في هذه العمارة. ارتسمت على وجهي ابتسامة تدل على الانتصار.

ثم أضفت:

– هل لي أن أراها الآن؟

– لو لي أن أقول نعم لقلت، لكن الأمر بيد الحاج مغاوري صاحب العمارة، ثم صمت لبرهة، أضاف:

- القليل فقط هو من يعلم أن الحاج مغاوري، هو صاحب العمارة، فهو لا يظهر في كل الأوقات.

وبعد لحظات، كنت أجلس في شقة الحاج مغاورى، أرشف الشاي الساخن، وأتحدث معه بصدد تلك الشقة.

قال: إن الشقة سعرها معقول، وربما كان زهيدًا أيضا، وهي مفروشة، نعم، مفروشه. فقط طلب مني رجاء هو: عدم فتح غرفة ما داخل الشقة!

سألته عن السبب، فأجابني بأن ذلك شرطه الثاني كي يعطني إياها، وهو (لا أسئلة)!

وافقت وأنا أعلم أنني لن أفعل ذلك، فأنا فضولي، وسأفتحها وليضرب رأسه في أقرب حائط. سوف أفتحها! على كل حال وقعت العقد في ذلك اليوم.

***

السبت 20 مارس

عدت مرهقًا من العمل وذهبت إلى شقتي الجديدة، ألقيت بنفسي على الفراش ومن ثم ذهبت في ثبات عميق.

كانت الشقة مظلمة تمامًا، وأنا ملقًى على الفراش. وعندما دقت الساعة معلنة أنها الواحدة صباحًا، عندها دوت الدقات!

هكذا نهضت مذعورًا، بعقل مخدر مبلبل، جلست للحظات كي أعي ما الذي يحدث؟ حسبت أنني أحلم ، فعاودت النوم مجددًا، حينئذ عادت الدقات!

هذه المرة كانت آتية من الغرفة! نعم، من الغرفة المغلقة. نهضت ماشيًا نحو الغرفة، وقفت خلف الباب للحظة، وضعت أذني على الخشب البارد،أصغت السمع إلى الداخل،وحاولت أن أتخيل مايحدث، أعتقد أن هنالك من يتحرك داخل الغرفة.... الغرفة المغلقة!

اعتقدتُ أنه إنسان، لكن من أدراني؟! فكرت في عمل شيء؟ دنوت أكثر وطرقت الباب بأصابع مرتجفة، وفي صوت أقرب إلى الهمس تساءلت:

– من هنا؟

لكن لا رد، فكرت في فتح الغرفة، لكنني عدلت عن رأيي، لأنني لا أريد أن أموت الآن. فمن أدراني من بداخلها؟

أيًّا من كان بالداخل، فأنا لن أفتح بكل تأكيد. تمالكت أعصابي، وأشعلت لفافة تبغ بيد مرتجفة، اتجهت إلى الشرفة، وأنا أفكر في شيء ما أفعله وأتساءل: ما الذي يوجد بالداخل؟ ما الذي يخفيه، مغاوري داخل هذه الغرفة؟

ربما كان داخلها قتيل، وهذا عفريته، أو ربما كان فأرًا، لا أعتقد، إذًا ربما هنالك أحد ما يحتبسه ذلك المغاوري بالداخل، ربما، افتراضات جمة، لكن لاشيء مؤكد؟!

لم أترك هذه الأفكار تتنابني، اتجهت مرة أخرى لهذه الغرفة، حاولت، النظر من ثقب المفتاح، لكنني خشيت ذلك، دققت الباب مرة أخرى، لكن لا رد،تنهدت في استسلام، ومن ثم قررت أن أنام، أقصد أحاول أن أنام، وعند الصباح، أقتحم تلك الغرفة، بكل تأكيد.

***

الأحد 21 مارس.

لا أعلم كيف نمت بالامس؟ لكنني نمت على أي حال. نظرت في ساعتي لأجدها الثانية عشرة ظهراً، حسنًا الشمس ساطعة، اتجهت إلى باب الشقة وفتحته على مصراعيه حتى يسمعني الجيران إذا حدث لي مكروه، أضأت الأنوار كلها، فتحت جميع النوافذ، ذهبت للمطبخ وحملت سكينا كنوع من الحماية البلهاء،بالطبع أحضرت شاكوشًا وعتلة. هكذا أصبحت مستعدًا لاقتحام تلك الغرفة.

أولجت العتلة في حافة الباب وبدأت الطرق عليها، تااك،.تااك هكذا بدأ يستجيب، وبعد لحظات كان الباب قد تهاوى في يدي وانفتح على مصراعيه!

نظرت في توجس إلى الداخل، وبخطوات حذرة دلفت للداخل!

في لحظة، كنت أقف داخل ذات الشقة، لكنها شقة أخرى، الغرفة المغلقة لم تكن غرفة منذ البداية إنها شقة واحدة، قسمها ذلك الباب إلى شقتين.

هنا وجدت رجلًا وامرأة يخرجان من غرفة ما، وعلى وجهيهما علامات الرعب الممتزج بالذهول. تساءلا:

- من أنت؟

فحكيت لهم ما حدث بإ.از.

- همم! لقد فهمت.

قالها الرجل معربًا عن استفاقته وفهمه للموقف.

وأضافت زوجته، - على ما يبدو -:

- إذًا مغاوري هذا قام بالنصب علينا وباع الشقة، كشقتين منفصلتين تمامًا.

ثم نظرت لزوجها وهي تضيف:

- ألم أقل لك منذ البداية: إن ذلك الرجل لا يريحني حديثه، ألم أقل لك؟

لم تطل هذه اللحظة كثيرًا؛ لأنني رحت أركض أنا والزوج ناحية المصعد وأخذناه إلى شقة الحاج مغاوري. دققنا الباب مرارًا، ضغطنا الجرس عدة مرات لكن لا شئ، كان الزوج قد وصل إلى حاله هستيرية وأخد يصرخ قائلًا:

- اخرج يانصاب، سوف أبرحك ضربًا.

بالطبع برز لنا بعض الجيران متسائلين:

- من هذان المخبولان؟

عندئذً،جاء صوت من الداخل، هنالك أحد داخل الشقة، المزلاج يدور، الباب يفتح،بووووم! لكمه في وجهه! أمسك الرجل بوجهه وأنفه الذي تحطم وأخذ يصرخ، لحظة، إنه ليس مغاورى.

بعد لحظات من الأسف والترجي، علمنا أن ذلك الرجل هو مالك العمارة الحقيقي، وان مغاورى ذلك ليس له وجود، وأن كل ما يعرفه هو أن القاطن القديم يدعى ناجى عبد الصمد، وقد كان مستأجرًا للشقة لمدة عام، ولم يكمل عامه ومن ثم رحل ، لا أحد يعلم إلى أين؟

أما عن البواب، فلا يوجد حتى هذه اللحظة بواب للعمارة.

ذهبت أنا والزوج إلى قسم الشرطة وحررنا محضرًا ضد المدعو: مغاورى، والمدعو ناجي عبد الصمد.

وهأنا أجلس في شقة عمتي بالوايلي حتى يُقبضَ على مغاوري، أو أرثَ مرة أخرى.



هي لا تعلم

منذ أن فتحت عيني على هذه الدنيا، وأنا أجده أمامي، لم يكن لى أحد سواه، فوالداي متوفيان، لذلك أصبح هو كل شيء بالنسبة إلي. إنه شقيقي الأكبر مدحت، إن لم يكن مدحت شقيقك فأنت لن تشعر أبدًا بهذا الإحساس.

زواج، لا، لم أتزوج حتى الآن، فأنا فى سن صغيرة نوعًا ما. هو، لا، لم يتزوج هو الآخر بداعي انتظار زواجي أنا أولًا، ومراعاة احتياجاتي ثانيًا، فإنه يقول: إنه لو تزوج فإن هذا سيجعله يقصر فى واجباته نحوي وهو لا يريد ذلك.

لم يعنفني قط، لأنه يحبني بجنون، حبًّا يفوق الخيال.

كنت أقول له دومًا:

– لن أتزوج إلا بشخص مثلك، وبذات الصفات، إن لم تكن أخي لتزوجتك.

كنت أقص عليه كل ما يحدث لي ليعطيني النصيحة الملائمة، وكان يفعل.

إذًا، أنت تتساءل: ما المشكلة؟

أقول لك ياسيدى: إن المشكلة كانت منذ البداية وأنت لم تلاحظ، ماذا عني؟ أنا لم أكن أعلم ، وربما لم ألاحظ مثلك.

فعلى الرغم من كل ما فعله أخي من أجلي وما يفعله حتى الآن، فإن هناك عدة ملاحظات رأ ها مؤخرًا، يجب أن أذكرها لك، لكن على وعد أن يصبح الأمر سرًّا بينا، وألا تخبر به أحدًا وإن صادفت في حديثى شيئًا غريبًا أرجوك ألا ترفع صوتك حتى لا يسمعك أحد، أعلمُ أن صوتي يقترب من الهمس إلى حد ما، لكن هذا ليس بإرادتي، فاقترب أنت قليلاً. حسنًا، اتفقنا؟ لنبدأ إذًا.

أولًا: إن شقيقي (مدحت) لا يتقدم في السن، أقصد أنه لا يشيخ، لا، ليست هذه مجاملة من أي نوع، إنها حقيقة، ففي البداية كنت أحسبه يضع صبغة ما أو أية مساحيق، لكنني تأكدت أنه لا يفعل.

ثانيًا: هو لا ينام، نعم يا سيدى لا ينام، فقد لاحظت ذلك خلسة دون أن يراني، فقد ظللت ساهرة وأنا أرمقه فرأيته يجلس في الشرفة، والأدهى أنه لم يكن يحرك جفنيه قط.

ثالثاً: هو لا يأكل، لا يأكل شيئًا مطلقًا، لقد ابتعت له منذ يومين طعاماً من الخارج، وجلسنا نتناوله معًا، وبعد أن انتهينا، وجدت أن طعامه كما كان كانه لم يمسه، لقد رأيته يتناوله، هل خدعتني عيناي، ربما!! ولكي أتأكد بنفسي من هذا أحضرت له في اليوم التالى طعامًا آخر، ولم أجلس معه بل أخذت أرمقه من بعيد. كان يتناوله بنهم شديد، وعندما فرغ منه وضع ما تبقى في سلة المهملات.

ذهبتُ خلسةً خلفه ونظرت في سلة المهملات بعد أن انصرف وأفرغت ما تحويه السلة؛ لأجد الطعام كما أحضرته بالفعل لم يتناول منه شيئًا.

أما الشيء الأخير فهو: أن أخي لا يمسه المرض أبدًا، لا يمرض مثل سائر البشر.

لهذه الأسباب أنا هنا في غرفته، هو، بالطبع في الخارج، لا أعلم إلى أين ذهب، لكنه ذهب على كل حال، بدأت البحث في حافظة ملابسه لكنها خالية، خالية تمامًا، ماذا عن هذا الكومود؟

إنه مغلق، لكن لا بأس فإن معي هذه العتلة، تكتك ،ها هو ذا يستجيب.

ما هذا الذي بداخله؟! إنه صندوق، لحسن الحظ أنه مفتوح ما، الذي يحويه؟ كان به بعض الأوراق، هذه وثيقة زواج خاصة بأبي وأمي، هذه شهادة ميلادي، هذه شهادة وفاة!

هل لاحظت ذلك؟ لا أحد في المنزل سواي، كنت أقصد: هل لاحظت من تخص هذه الشهادة؟ انظر في خانة المتوفى ((مدحت سالم احمد)) إنه أخي.

هل أنا أهذي؟ لا يا سيدي، إن الوثيقة أمامي الآن مثلما تجلس أنت أمامي، إذًا من يكون ذلك الآخر؟ ربما عفريتًا له ، ترك ترك، ما هذا الصوت؟

إنه أخي لقد عاد، يجب أن نعيد كل شيء كما يجب، و....انتظر إن هذا ليس صوت أخي!

أنصت، إنها عائلة على ما أظن، رجل وزوجته وابنهما، لكن من ذلك الرابع. والمهم هو الذي يفعلونه فى منزلى، سوف أخرج لأتحدث إليهم، أستمع إلى حديث الزوج، يقول:

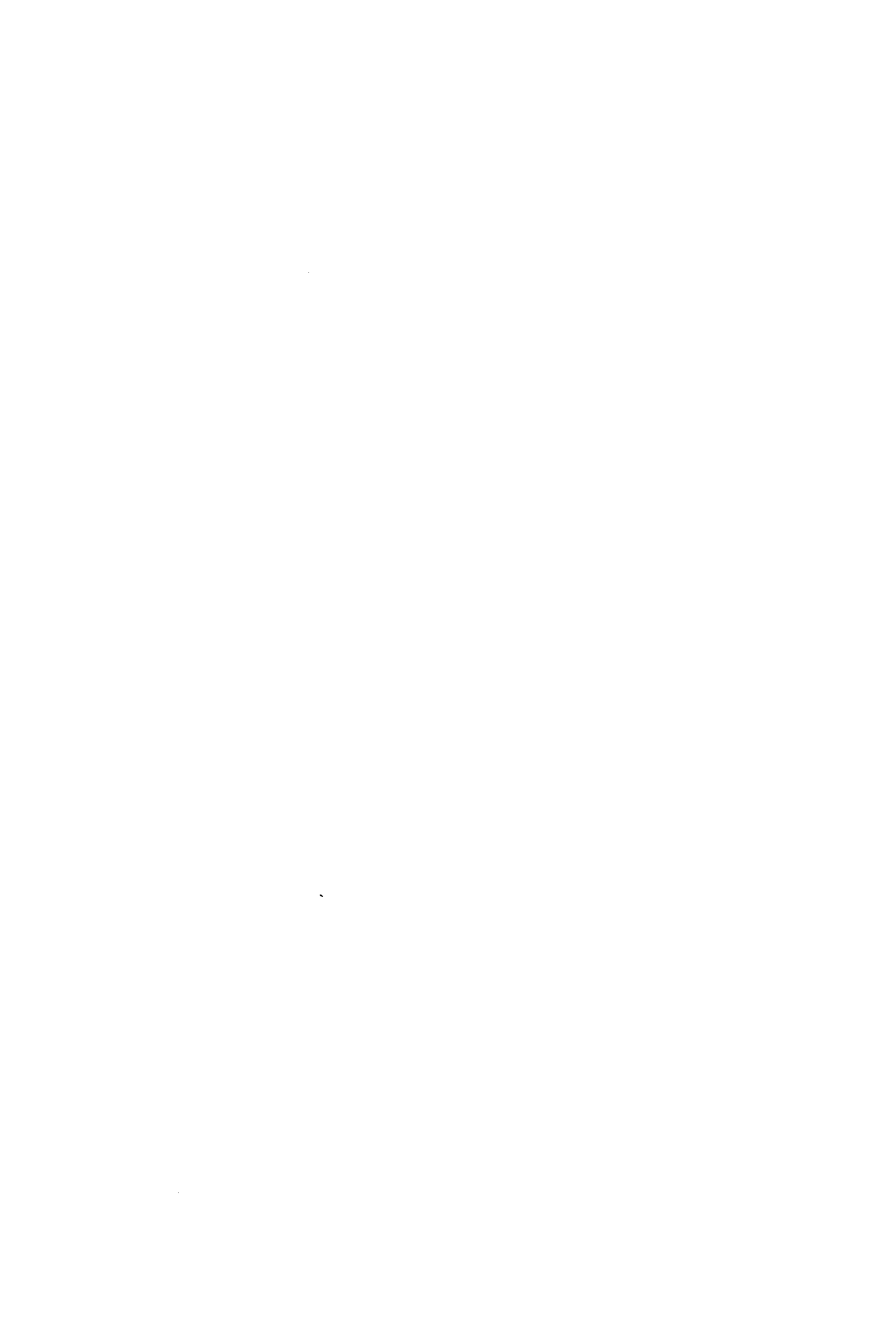
- المنزل رائع، لكن ما الد ر في ثمنه الزهيد، ثم يجاوبه الرابع قائلاً:

- إنه ذلك الحريق الذي اندلع منذ عدة سنوات، وكانت نتائجه أن جميع ما كانوا بداخله قد لقوا حتفهم.

فأجابه الزوج:

- أنت تعلم أنني رجل علم؛ لذا لا أهتم بمثل هذه التخاريف، لكن انتظر أنا أسمع صوتًا من هذه الغرفة.

لأنه من أجدادي



المتحف المصرى، لا، ليس المتحف المصرى نفسه، بل بالقرب منه قليلا، سوف تجد ذلك المحل، إنه محل تحف، أو إذا دققت أكثر في اللغة فهو بازار. كتب على وجهته: الملك توت.

وإن اقتربت أكثر، ودلفت إلى الداخل، فسوف تجد بعض التماثيل الفرعونية، الخاصة بحورس، وتوت عنخ آمون، ولا بأس ببعض من نباتات البردي، التى خُطَّ عليها بعض النقوش، وإذا نظرت لأعلى،

– بالتحديد عند ذلك الركن – فسوف ترى هذين التمثالين للربتين سخمت و باستت اللتين تمثلان القطة الفرعونية. وستجد أيضا ذلك المكتب الخاص بأكمل سعد، صاحب البازار، وقد وقف على جانبيه تمثالان، لـــ "أنوبيس"، إنه ذلك التمثال الذي له جسد إنسان و رأس ابن آوى.

من أكمل سعد؟

هو باختصار،أنا، أما لما جمعتكم الآن؟ ها هنا؟ لأن لي قصة قصيرة وددت أن أقصها عليكم، لا ،.لن أطيل عليكم هذا وعد منى، لنبدأ إذًا.

إن لي أصولًا أجنبية تمت لـــ "كارتر"، من كارتر؟ إنه اللورد كارتر، مكتشف مقبرة توت عنخ آمون، الذي أصابته حمى مفاجئة، وقال الأطباء: إن السبب هو أن وجهه كان مليئًا بالجروح القديمة،

وقد سالت دماؤه وهو يحلق لحيته؛ مما أدى إلى أن يصاب بالحمى،وهو تفسير لم أقبله قط؛ لأنه ساذج، لكن على كل حال قد مات اللورد. وبعد ذلك مات معاونه باحتراق شديد، وبعدهما زوجة اللورد نفسها، والسبب: حشرة ما لسعتها.

ومن ثم سكرتيره، ومن بعده والد ذلك السكرتير،كل ذلك حدث في أيام متقاربة، فهل هي لعنة الفراعنة؟ على العموم لن أطيل عليكم، كما وعدتكم، ثم إنني لا أتقبل مثل هذه الخرافات، أقصد كنت لا أتقبلها إلى أن رأيت تلك الهرة التي تعبث داخل البازار، بالطبع أنا أعتاد هذه الأمور، فلن أستطيع منع هر أو فأر من التسلل إلى داخل البازار. لكن هذه الهرة بدت مألوفة لي، لقد شعرت أنني رأيتها من قبل، انحنيت أسفل المكتب والتقطها وربتُ عليها،فأصدرت مواءً هادئًا، ومن ثم اندثرت بين ذراعي، فلاحظت تلك القلادة التي ترتديها!

لم تمر سوى لحظات، ودلف إلى داخل البازار جروب سياحي من بلد ما أوروبي، ألقيت بها على الأرض - دون أن أتخذ قرارًا - إلى خارج البازار، فنظرت لي نظرة ذات معنى ومن ثم انصرفت.

وبعد مرور يومين، رأيت تلك الهرة، رأيتها داخل البازار، بالطبع، لم أستطع أن أميزها، لكنها لعقت قدمي في تودد، فانتفضت ذعرًا، ثم نظرت لأسفل المكتب لأجدها تجلس وتنظر إليَّ، والقلاده تتدلى من عنقها، فلم أستطع أن أمنع نفسي من أن ألتقطها مرة أخرى، لكن هذه المرة قررت أن أحتفظ بها، وأن أذهب بها الى المترل، وهذا بالفعل ما حدث، في البداية أبت زوجتي وقالت:

- هل سأتكفل بالحيوانات الضالة وقطط الطريق أيضًا؟

لكن، هيهات! فأنا الرجل ولا حديث يعلو على حديثي، لكن هذا ليس موضوعنا، ثم إن هذا ليس هو ما جعل تلك الهرة تمكث هاهنا فى ذلك المنزل،

فالحق يقال: إن زوجتى أحبتها لذا قررت، أقصد أنا من قرر أنها ستمكث معنا.

***

كنت أستمتع بالجلوس في البازار،حتى الساعات الأولى من الصباح، أرمق هذا وذاك وأتنسمُ النسيم العليل، حين نظرت لأعلى عند ذلك الركن لأجد أن باستت اختفت! أقصد: ذلك التمثال الذي يمثل القط الفرعوني، إن الفراعنة قد عبدوا القطط في صورة الربة باستت، على العموم هذا ليس بالمكان، ولا الوقت المناسب لمثل هذا الحديث فلكل مقام مقال، إذًا، لا بد أن أحدهم سرقها و سوف أذهب كي أ... تررن تررن

دق جرس الهاتف، مقاطعًا إياي فالتقطت السماعة، وجاء صوت زوجتي عبر الهاتف ليقول:

- لقد نسيتها، فلا تقلق.

- نسيت ماذا؟

- هذا التمثال البغيض، تمثال القط الأسود ، متى أحضرته إلى هنا؟

ثم صمتت ، وهي تضيف:

لقد بدأت تتصرف دون علمي، أه، بالمناسبة، لقد نسيت أن أذكر لك أن القطة التي أحضرتها منذ ساعات قد اختفت، على ما يبدو أنها فرت، أو ربما ألقت بنفسها من النافذة.

ترك، وأغلقت السماعة.

***

لقد انتهيت من قصتي ،ولدي تفسيران.

الاول: هو أن ما حدث حقيقة.

الثاني: أنني أهذي.

و الاحتمال الثاني هو الأقرب، وهو أنني أخرف، فأنتم تعلمون أن الفراعنة كانوا يعرفون العقاقير، وكانوا بارعين في دمجها، وتركيبها واستخدامها. ويقول الأطباء حديثًا: إن بعض من المساحيق التي تطلق عليها مساحيق الهلوسة من من الممكن أن تحدث أثرها عن طريق الفم والأنف وربما العين، فأعتقد أنني أقرب إلى هذه الحالة، ربما، لامست يدي مسحوقًا ما من تلك المساحيق، ربما تقول لي:

- كيف ، وأنا لا أبيع آثارًا حقيقية؟

أقول لك:

- ومن أدراك أنت، أنني لست تاجرًا للآثار؟! هههههه ،هههه، نعم، أنا، تاجر آثار! هههه، تاجر آثار، لكن لا تبلغ عني، هههه، لا أعلم، لماذا أشعر أنني أود أن انااااام ، لكن داخل تابوت؟

لماذا أشعر وكأنني ملك من ملوك الفراعنة!

هنالك قصة لا أعلم أين قرأتها، عن العالم الذي وجده الناس يمشي عاريًا في الطرقات وقد وضع على رأسه تاجًا من الورق يشبه تاج الملك مينا، وبعدها مات مشلولًا، ما هذا؟ هل لاحظت هذا؟

التمثال، لا ليس هذا بل ذاك، لا ليس ذاك، بل ذاك، لا ليس هذا، أعتقد أن جميع التماثيل قد دبت فيها الحياة ، أنا أهذي بكل تأكيد أنا أهذي، لكنني لن أطيل عليك؛ لأنني سوف أذهب مع هؤلاء الحراس، إلى المقبرة؛ لانني قد مت، وها هم يعدون مراسم تحنيطي!



عطر الياسمين



البعض يقول: إن هذه الظاهرة لا تحدث إلا في بلد ما لا أعرفها، وبلد أخرى لا أعلمها حاليًا فحسب، وإنها لم ولن تحدث في مصر.

ببساطة أجيب أنا: لا، فأنا عن نفسي قد قابلتني هذه الظاهرة منذ سنوات، عندما كنت في الإسكندرية.

- منذ متى بدأ كل شيء؟

- لا أذكر بالتحديد، لكنني وقتها كنت عائدًا لتوي من المستشفى، كانت الساعة قد دنت من الواحدة والنصف صباحًا، لكنه العمل فأنت تعلم أن الأطباء لا يملكون أوقاقم، يبدو أنك خمنت أنني طبيب، نعم، أنا كذلك. المهم، أخذت سيارتي وانطلقت بها متجهًا الى المترل، ليست فارهةً لكنها تفي بالغرض.

بيوت، محلات، ثم بيوت، ثم في النهاية (صحراء) تطل على البحر المتوسط، هنا رأيتها! كانت تقف بمفردها ترتدي معطفًا جلديًّا وقد دست يديها بداخل جيبيه كي تشعر بالدفء.

لم أتردد في الضغط على مكابح السيارة التي أصدرت بدورها عواءً يصم الآذان، توقفت السيارة على بعد خطوات منها، أخرجتُ رأسي من النافذة، وأخذت ألوح لها بكلتا يدي أن هلمي، اصعدي.

اعتقدت أنها لن تأتِ، أو أنها ستظن بي سوءًا، لكنها أخذت تسير

في تؤدة نحو السيارة، فتحت لها الباب فدلفت للداخل وجلست إلى جواري، هنا استنشقت عطرها الخلاب (عطر الياسمين)، أغلقت هي الباب ومن ثم انطلقت.

- إلى أين؟

لم أجد ردًّا.

- أين أقلك؟

- ليس هناك إجابة، إذًا هي خرساء، لكن ليس هذا هو المهم، المهم إلى أين؟

أخذت أشق طريقي وسط الصحراء التي أحال الليل لونها إلى الأسود. أعتقد أن الدقائق العشر لم تمر لكنني وجدتها تشير بيديها إليّ معلنة عن رغبتها في مغادرة السيارة، أوقفت المحرك، ثم نظرت حولي فلم أجد سوى صحراء جرداء، أهي مخبولة أم أنها تعرف ما تريد؟

سألتها: هل رغبتها تلك صحيحة أم لا؟

لم تجب، فقط غادرت السيارة متجهة إلى الرمال، أخذت تتوارى وتتوارى، لم أنتظر، ماذا تريد هذه المعتوهة؟!

توجهت إلى الخارج، وأخذت أركض في اتجاهها لأرى ما الذي تنوي فعله.

لكنها توارت، اختفت، أين ذهبت؟ لا أعلم، ركضت هنا وهناك، لكن لاشيء.

فى اليوم التالى، حاولت جاهدًا أن أتناسى ماحدث برمته، أنهيت عملي، ومن ثم أخذت سيارتي كالعادة، وانطلقت بها نحو المنزل، الساعة كانت تدنو من الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل.

لا أعلم ما الذي جعلنى أشعر بأننى سوف أجدها منتظرة؟! عندما اقتربت من الموضع ذاته، توقفت على جانب الطريق واستدرت برأسي يمينًا ثم يسارًا باحثًا عنها فوجدتها قد جلست على مقدمة السيارة وألصقت وجهها بالزجاج الأمامى، وأخذت تبتسم في بلاهة.

لقد أثارت هلعي، لكنها تبدو بلهاء على أية حال، من أين أتت؟ لقد بحثت عنها، هل هبطت من السماء؟

توجهت إلى الخارج باحثاً عنها، لكن لا شيء، انحنيت أسفل السيارة، لا شيء، أين ذهبت هذه الفتاة؟

هنا وجدت سيارة نقل قد توقفت إلى جانب الطريق، وأطل منها سائقها الذي سألنى: هل أنا في حاجة لمساعدة منه أم لا؟

فأجبته: لا، لكنه كان قد توجه إلى خارج السيارة، وتوجه نحوي وهو يضيف:

– على أية حال يجب أن تتخذ الحذر.

–مِمَّ؟

قلتها له معربًا عن اهتمامي، فأجاب:

– من الأشباح والعفاريت، إنهم يقولون: إن هذا الطريق مسكون والعياذ بالله.

-مسكون؟! هذه تخاريف.

– لا يا باشا، إنها حقيقة، الجميع يؤكد أنه رأها؟

– رأوا من؟ القتيلة؟!

– نعم فمنذ عشرة أعوام شاهد هذا الطريق مصرع فتاة ما، من هى؟ أو من أين أتت؟ لا أحد يعلم، لكنها ماتت، ربما دهمتها سيارة ما كان يقودها عابث، على كل فإنه ومنذ ذلك الحين وشبح تلك الفتاة لم يغادر ذلك الطريق.

– هل أجمع من رأها على ذات الأوصاف؟

قلتها وأنا مستقر داخل سيارتي وأغلقت بابها.

فأجابني وهو يتجه ناحية سيارته النقل:

– نعم بالطبع، فجميع من قابلها قد لقبها بصاحبة عطر الياسمين!

-لقد قابلتها، تحدثت إليها، أقلتها، جلست إلى جواري.

-من هي يا باشا؟

نظرت إليه وابتسمت، وأجبت:

– القتيلة صاحبة عطر الياسمين.

تابلوه



أنا الدكتور سليمان الخولي، طبيب بشري، لا لست مشهورًا، لكنني على درجه لا بأس بها من الثراء، عمرى يناهز الخامسة والخمسين، متزوج، ولي ولد يُدعى رامي لم يتعدَ الثالثة من عمره.

قصتي تبدأ منذ أن ابتاعت زوجتي ذلك التابلوه من تاجر التحف مقابل حفنة من المال.

كئيب ،مقيت، لكنها تحبه، مخيف،مقبض، لكنه يعجبها،

قررت عشرات المرات أن أبتاع لها غيره، لكنها أبت فهي فنانة تشكيلية وتقدر هذه الاشياء، أما أنا فحمار، لمجرد أنني لا أفهم ذلك المعنى الذي يمثله ذلك الكائن الشبيه بالقرد إلى حد ما، ويجثم على صدر تلك الفتاة النائمة.

إنها تقول: إن ذلك التابلوه يمثل (الجاثوم)، وبالطبع أنا لا أعلم ما هو ذلك (الجاثوم)؛ لذا فأنا حمار ومن الافضل أن أصمت.

***

لي جار يدعى سامي، يقطن في الشقة المجاورة لي، وهو بالمناسبة كاتب قصصي. اعتقدت أنه يفقه الكثير من مثل هذه الأمور؛ لذا ذهبت إليه واحتسيت معه الشاي الساخن.

أخذ يثرثر في الكثير من الترهات والخزعبلات الواهية، لكنني كنت أنصت رغمًا عني فأنا من طلب منه ذلك.

ذكر لي أن هذه الكلمة (الجاثوم) تعني الشيطان الذي يتخذ شكل عاشق ذكر يغتصب النساء أثناء نومهن وله تعريف آخر لا أذكره، لكن علامة وجوده هو غرق كل سكان البيت في نعاس عميق، وتسفر العلاقة بينه وبين النساء – أحيانًا – عن أطفال مشوهين، وبالطبع لم أقتنع بأي شيء مما قاله، وانصرفت شاكرًا إياه على لا شيء.

***

كان ذلك يوم الجمعة، أذكر ذلك جيدًا، كنت ألهو وقتها مع ابني رامي، عندما لاحظت قدميه! لاحظت ذلك التشوه! كيف لم ألاحظ أن رامي يعاني عيبًا خلقيًا يتمثل في قدمه اليسرى؟ لا أعلم ما الذي جعلني أخلط ذلك الأمر بما قاله (سامى) لي؟لكننى فعلت، دلفت للغرفة، أحضرت سرنجة، ثم أخذت عينة من دمائه دون أن تراني والدته، وإلا اتهمتني بالجنون.

أعطيت صديقًا لى هذه العينة يدعى: عبد الرحمن وهو يعمل معي بالمستشفى، بالإضافة إلى عينة من دمى أنا.

وطلبت منه أن يجرى لى تحليل الــ (D·N·A) في أسرع وقت ممكن. وبالطبع جلست أنتظر.

***

في هذه الأيام لم أذهب للعمل فى المستشفى، فقط جلست أرمق ذلك التابلوه منتظرًا نتيجة التحاليل. والتي أتت كي تصيبني بالخبل. فقد جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن، اتصل بي عبد الرحمن ليزف لي تلك المصيبة:

- ابني ليس ابني. لعينات لم تتطابق قط.

أغلقت سماعة الهاتف وأنا أرتجف كورقة. بالطبع لم أذكر ذلك لزوجتى وإلا اعتقدت أنني مخبول، أو اهمها بالخيانة لا سمح الله.

ظللت جالسًا أمام ذلك التابلوه بالساعات، ومن ثم أفكر في كل شيء.

بل والأهم من ذلك أنني لم أكن أنام. حتى أن زوجتي الحبيبة كانت تضع لي المنوم في كوب العصير حتى أنام وأستريح. كانت تتساءل عن قلقي الدائم، كانت تتساءل عن عدم مواظبتي على العمل، وكانت تتلقى إجاباتي المعتادة: (انا مرهق)، (العمل)... إلخ.

***

ومرت الأيام وأنا على ذلك الحال إلى أن اتصل بي عبد الرحمن صديقي في المستشفى ليطمئن علي، وبعدها أتى لزيارتي في منزلي، وحكيت له القصة كاملة. وطلبت منه حلًا لهذه المشكلة.

تنهد في استسلام بعد أن فكر قليلًا ثم أضاف:

- هل زوجتك تحبك؟

سؤال وجدته غريبًا بعض الشيء ثم إنه ليس في موضعه، لكن

على العموم نعم، بكل تأكيد، تحبني، تحبني جدًّا.

– وما أدراك؟ فأنت تكبرها بعشرين عامًا كاملة؟

– ما الذى تريد قوله؟

–لا شيء فقط، أنا أفكر ي....

– في ماذا؟

صمت لبرهة ثم أضاف:

– (المنوم– الجاثوم – التابلوه)، ابنك الذي لم يكن ابنك، ألا ترى معي أن الموضوع مبالغ فيه قليلًا؟

–لا أدرى؟

–على كل حال سوف نرى، سوف أملي عليك ما تفعله بالحرف الواحد وبعدها سوف نتأكد.

– وما هو؟!

***

فى اليوم التالى، جلست كالعادة أمام التابلوه، ولم أذهب إلى عملي بالمستشفى، جاءتني زوجتي وهي تحمل كوب العصير المعتاد الذي امتزج به المنوم، تناولته من يدها وشكرتها ومن ثم تجرعته، أقصد هكذا ظنت، وبعد قليل، دلفت إلى غرفة النوم ومن ثم إلى الفراش كي أنام، مرت اللحظات وأنا مستلقٍ على الفراش ومنصتٌ للخارج. على ما يبدو أنها بريئة، كيف ظننت بها سوءًا!

نهضت وتوجهت نحو باب الغرفة، فتحته في بطء ونظرت من

خلفه دون أن تشعر بي. في هذه اللحظة سمعت صوت الباب، (باب الشقة) ينفتح على مصراعيه!

مددت رأسي فى توخٍّ وحذر، عندها رأيته. رأيت (الجاثوم) يدخل شقتي في سعادة بالغة، ومن ثم يحتضن زوجتي ويقبلها في حرارة،بالطبع ذلك (الجاثوم) هو سامي جاري العزيز.

لقد صدق عبد الرحمن، لقد كنت مغفلًا منذ البداية، الآن هو داخل الشقة، يتحدث إلى زوجتي قائلاً:

- هل نام؟

فأجبته هي: - نعم.

ثم أضافت:

- ولقد اقتنع تمامًا بقصة (الجاثوم) فأنا على يقين أنه الآن يعتقد أن رامي ابن للجاثوم، ومهما قالت التحاليل الطبية فهو لن يقتنع، بالطبع لم أنتظر أنا أكثر من ذلك! الآن هي نائمة إلى جواري، لكن هذه المرة إلى الأبد.

نعم، لقد قتلتها، لقد نلت منها لأجل نفسي وشرفي، (سامي) لقد فر فرار الفئران، أما عن رامي الذي تبين أنه لا يمت لي بصلة فقد ألقيت به من الشرفة لتوي.

لحظة، إن جرس الباب يدق في إصرار، اعتقد أنهم وجدوا جثته الآن ممدة على الطريق بلا حراك، غارقة فى الدماء. الشرطة ربما كانت في طريقها إلى هنا، لكنهم لن يجدوا من يلقون القبض عليه؛

لأنني سوف أضغط على زناد مسدسي.

((طاخخخخخ))،

صوت طلقة رصاص ،ومن ثم صوت (ششش)، لقد ساد الصمت وعم الهدوء، إلا من صوت شريط الكاسيت الفارغ.

هنا! أغلق المحقق الكاسيت، وملف القضية وأراح ظهره على المقعد وابتسم.

ذو المعطف الأسود



ملاك حنا، هذا أنا، عمري تسع سنوات تقريبًا، واقتربت من العشر، فأمامي بعض الشهور القليلة وبعدها أتمهما، وأحتفل بعيد ميلادي، وسيحضر لي أبي تورتة، وسيأتي أصدقائي بالهدايا و... معذرة، إن هذا ليس موضوعنا ها هنا، اعذروني، فأنا أفتقد هذه الأجواء كثيرًا،

صحيح أن أبي يحاول إرضائي، لكنه لا يصدقني، لا يصدقني حتى بعد أن أقسمت له مرارًا أنني أراه، حسنًا، أنت تريد معرفة القصة ليكن، سوف أحكي لك منذ البداية، منذ رؤيتي إياه للمرة الاولى،

وقتها كنت قلقًا، حاولت النوم مرارًا، لكنني فشلت، الساعه تدق دقات الرابعة صباحًا، أتذكر أن لدي مدرسة غدًا، وعلي أن أنام كي أستطيع الذهاب مبكرًا، لكنني لا أستطيع، كانت أمي محقة في منعي من مشاهدة ذلك الفيلم المرعب ليلًا، لكنني أبيت أن أنام إلا بعد انتهائه، وهذا كان خطئي، وهأنا أرتعد رعبًا وخوفا، لكنني رجل، ولن أنام إلا في فراشي، ولن أذهب لأمي وأبي وأؤكد أنني جبان، أو أنني مجرد طفل صغير يرتعد رعبًا، لكنني كذلك على أي حال!

فتحت الشرفة ودلفت داخلها، أملًا في إيجاد بعض الهواء. لا أحد في الطرقات تقريبًا، الطريق خالٍ تمامًا إلا من بعض الكلاب الضالة

والقطط التي تعبث في صناديق القمامة، تثاءبت فاردًا ذراعي للوراء. عندها رأيته، لم أتبين ملامحه جيدًا؛ لأن الضوء لم يكن بالقدر الكافي، نعم هنالك بعض أعمدة الإنارة، لكن أكثرها لايعمل!

***

لم أتبين ملامحه كما قلت من قبل، لكن ما ميزه هو ذلك المعطف الاسود، الذي جعله أقرب الى الشحاذين، كان يسير في تؤدة حتى توارى بين الظلال! من ذلك الرجل؟ من أين أتى؟

أنا أعلم نصف الإجابة أو أقصد السؤال الثاني، وهي: إنه أتى من داخل العمارة! ربما كان أحد القاطنين، ربما، ربما! لكن من يرتضي لنفسه أن يرتدي مثل ذلك الزي؟

إذًا، ربما كان لصًا! بكل تاكيد هو... لا، ليس لصًا، وإلا سمعت صراخًا، أو، ثم كيف سيكون لصًا وهو بهذه يسير التؤدة!

فهو لا يستطيع أن يسير أساسًا، فإن كان لصًا فلن يستطيع الفرار، بما سرقه، وسوف يلحق به سكان العمارة ويوسعونه ضربًا... ربما...

وهكذا اتجهت إلى الفراش وأنا أتحدث إلى نفسي وأحاول إيجاد عدة تفسيرات ربما تريحني، و.... غبت في سبات عميق، وفي الصباح. بالطبع لم أستطع النهوض، لكنني نهضت رغمًا عني، حتى لا تنهرني أمي. وذهبت إلى المدرسة وأنا أترنح كالإنسان الآلي،

وبالطبع أيضًا، ظللت طيلة اليوم نصف نائم، متمنيًا سماع جرس الحصة الأخيرة. معلنًا عن إطلاق سراحي، ومن ثم نومي! نمت في ذلك اليوم كثيرًا جدًّا، ظللت أنام، ثم أنهض، ثم أنام، ثم استيقظت في تمام الرابعة صباحًا! واتجهت الى الحمام ، ومن ثم إلى المطبخ وتجرعت كوبًا من الماء، وعند عودتي إلى الفراش، ألقيت نظرة عابرة من زجاج النافذة، وعندها صُدمت!

لقد رأيته هو مرة أخرى، لم أخطئه، إنه هو بكل تأكيد، فتحت الزجاج وتابعته، حتى توارى في الظلام. من ذلك الرجل؟ أنا لا أعلم من هو، لكنني أعلم أنه يخرج من باب العمارة في ذلك التوقيت كل يوم، إن الأمر غامض بلا شك، لذا ذهبت إلى والدي في هدوء، وحاولت أن أعرض الأمر عليه، لكن الأمر انتهى بتهدئتي وإدخالي للفراش.

***

في اليوم التالي، قررت أن أصارح صديقي سامح وهو بالمناسبة جاري في ذات العمارة، في البداية لم يصدقني، لكن بعد ذلك تحمس لفكرتي وقرر المشاركة. وباختصار فكرتي هي: المواجهة! نعم، سوف أذهب خلف ذلك الرجل وأعلم من هو!!

بمفردي ... لا ... معي سامح.

وبالفعل، هأنا أنتظر الساعة حتى تدق الرابعة إلا الربع صباحًا، دلفت إلى داخل غرفة والديَّ، وتأكدت أنهما غارقان في النعاس،

إذًا كل شيء على مايرام، سرت في خفة حتى وصلت إلى باب الشقة ودلفت للخارج، فتحت باب المصعد علقته حتى لا يصعد أحد أو يهبط أحد، ثم صعدت إلى الطابق التالي، الذي يقطن فيه سامح، وانتظرت خلف باب شقته ....لم يمر سوى خمس دقائق وبعدها وجدته يدلف للخارج في هدوء وهو يضيف:

– أنا آسف، لن أستطيع الذهاب معك اليوم، فوالدي لم ينم حتى الان، اذهب وحدك، أو دع الأمر للغد.

لم أجبه، فقط تركته وهرولت على الدرج حتى صرت خارج العمارة

عندها رأيته على قارعة الطريق... لقد سبقني، أو ربما أنا تأخرت. هرولت خلفه بقلب يكاد أن ينخلع من مكانه. الآن سأعرف من هو، بعد قليل سوف أقضي على الكابوس الذي داهمني الأيام الماضية،

التقطت حجرًا من الأرض ودنوت منه أكثر فأكثر والتفت... استدار!

سقط الحجر من يدي، ووثب قلبي من بين ضلوعي،

الآن سأتبين ملامحه. إنه، إنه.... عم صالح البواب، بواب العمارة، لقد كان هو، لكن ما...

قاطعني الرجل قائلًا:

– مرحبًا يا أستاذ ملاك.

ما الذي أتى بك إلى هنا؟ ثم كيف سمح لك والداك بالنزول في ساعة متاخرة كهذه، صمت لبرهة ثم أضاف وهو يمسك بيدي:

- تعال، تعال ياصغيري لنعد للبيت، لماذا ترتجف هكذا؟ هل تشعر بالبرد؟

وخلع معطفه وألقاه على كتفي في رفق،

- هل لي أن أسالك يا عم صالح؟

قلتها من بين أسنان مرتجفة، فنظر لي في حنان وأجاب:

- بلا شك.

- إلى أين كنت تنتوي الذهاب؟

ابتسم في رفق ثم أجاب:

- إلى المسجد، كي أؤدي صلاة الفجر، لكن لِمَ ؟

- لا شيء، لا شيء، فقط كنت أتساءل، ك... كنت أيد أن،أ...

قاطعني مرة أخرى قائلًا:

- لا عليك، لا عليك.

عندئذ كنا قد وصلنا لباب العمارة، ربت على رأسي وأخذ معطفه، وانتظر صعودي الدرج، وبعدها انصرف، صعدت الدرج بتؤدة فقابلني صديقي، قائلًا:

- ها... ماذا فعلت؟

قالها ثم أضاف:

- هل رأيته؟ واجهته؟ هل رآك؟

لم أدر بما أجيبه، هل أخبره أن ما أرعبني، وأحال أيامي إلى سواد، لم يك سوى عم صالح؟ وقتها سأكون أبله إلى حد لا يوصف؛ لذا، نظرت له بلا مبالاة، وأكملت صعود الدرج، صعدت إلى شقتي، وأغلقت الباب، ثم دلفت إلى حجرتي، لا أعلم ما الذي جعلني أتجه إلى النافذة؟ لكنني رأيت شخصًا آخر يرتدي معطفًا أسود، يخرج من العمارة! إذًا هنالك شخص آخر غير عم صالح! أردت أن أهبط الدرج ، و.... لكن ما أدراني أنا، فربما كان شخصًا آخر، يذهب ليصلي الفجر، لكن،المعطف ليس هنالك لكن... دلفت تحت الفراش، ومن ثم رحت في سبات عميق...

أنا دراكيولا



أنا دراكيولا!الجميع يعرفني، الجميع يهابني،أنا دراكيولا! الأسطورة، أنا دراكيولا! مصاص الدماء، الذي كتب عنه كل قلم في العالم، أنا دراكيولا! أولادي هم ذئاب الليل، والليل ذاته عالمي،

أعلم أن الجميع يعتقد أنني مت، منذ قرون، بكل تأكيد هذا ما أعلمه ، لكنني حي!! وإلا فكيف أتحدث إليكم الآن، يقولون: إنني أمثل الطبقة البرجوازية وهي الطبقه الغنية، وبالطبع أنا هكذا،

فأنا دراكيولا! البعض يقول: إن اسمي هو فلاد أو ميلاد أو عماد... لكن اسمي لا يهم ، فقط اسمي هو :دراكيولا! أنا اتغذى على شرب الدماء، وهذا صحيح، لأنه إكسير الحياة، يقولون: إن ذلك يعود الى مرضي بفقر الدم الحاد، الذي يسمونه... يسمونه...

لا أعلم ماذا يسمونه، لكنه فقر دم فحسب، وبالطبع لا، فكل هذا هراء، فأنا دراكيولا! فإن تلك الدماء والتي لا يقدرها أحد تلك الأيام، تمنح الخلود، وهل هنالك شيء أعظم من الخلود؟ ثم إنني لا أمرض أبدًا،فأنا دراكيولا! ضحاياي،كثيرون لا يحصون، ومنهم ذلك الوغد الملقى أمامي الآن، لقد سحبته سحبًا إلى هنا ثم طعنته طعنة

غائرة. ومن ثم تذوقت ذلك المشروب اللذيذ، صحيح إن طعمه صدئ، لكنه لذيذ.

صباح الخيـــ،،أأأأأه ه ه ه ه

لا تقلقوا إن هذا صوت الخادمة، الخادمة الخاصة بغرفتي، أقصد قصري، فأنا دراكيولا! لقد أتت لتحضر لي كوبًا من الدماء، لكنها شاهدت ذلك الحقير ملقًى على الأرض، والدماء تتدفق من عنقه ففقدت الوعي، وسقطت مغشيًّا عليها، إن قلبها الرقيق لم يتحمل ذلك المشهد الجميل! على كل حال سوف أنقض عليها هي الأخرى و..... ماذا هنالك؟

إنه ، إنه، إنه صوت فان هيلسنج، إنه آت إلى هنا، ومعه الوتد، إنه... الصوت يرتفع، ماذا هنالك؟ لقد أتى، لن أستطيع الهرب من هذه الغرفة، لن أستطيع الإفلات منه، لقد أخرج الوتد من حقيبته،

أنا دراكيولا! لقد، أأأأأأأه ه ه ه ه.

***

– هل أنت بخير؟

قالها الطبيب للممرضة ممسكًا بيدها ليساعدها على النهوض.

– نعم يا دكتور، أنا بخير.

تأمل المشهد ثم أضاف:

– لا بد أنه كان على وشك الفتك بك، الحمد لله، لقد أتيت في الوقت المناسب.

قالتها واضعة يدها على مؤخرة رأسها وأضافت:

لقد أصبح جنونه خطرًا، لقد قتل شوكت التمرجي،

جثا الطبيب على ركبته، و نزع السرنجة التي وضع بها المهدئ، ثم أضاف:

– سوف أبلغ المدير، وهو بدوره سوف يتولى الأمر، ويبلغ الشرطة، لكن من دراكيولا هذا؟



منزل أليكس بارزاك



– إن منزل أليكس بارزاك مسكون بالأشباح، هذا أكيد، لا أحد يجسر على الدنو منه، إنه مهجور منذ زمن سحيق، الأمر بسيط، سوف تدخل ذلك المنزل يا مايك ما دمت، قبلت الرهان، لكن ليس هذا كل شيء!

نظر مايك إلى جورنج باستغراب وقبل أن يتفوه بكلمة أخرى أضاف جورنج:

– سوف تلتقط له عدة صور من الداخل.

– كيف؟ لكن ليس معي ك...

– سوف أعطيك الكاميرا الخاصة بي.

قالها جورنج له، ليسد بها فمه، وهكذا لم يجد مايك مفرًّا من الذهاب إلى منزل أليكس بارزاك، سوف يدخل المنزل، سيدخله، وإلا سار جبانًا.

***

كان الثلج يتساقط باستمرار، والجليد في كل مكان،

ارتجف مايك، ودس يده في جيبي معطفه، اجتاز السور الحديدي، واقترب أكثر من الباب، ثم ضغط كليك على ذر التصوير، ليلتقط صورة للمترل من الخارج، مرت عاصفة ثلجية فأدار ظهره إليها ليتجنبها ويرتعد، لا يشعر بأطرافه من شدة البرودة، تقدم اكثر، لا يعلم لِمَ ينتابه شعور بأن هناك أحدًا بداخل المترل، وقف أمام الباب ودقه بسلاميته عدة مرات! لكن لا أحد يرد، مرة أخرى لن تضر تك تك....

– من أنت؟

وثب مترين أو ثلاثة في الهواء عندما سمع ذلك الصوت، استدار ببطء ليجد رجلًا مسنا يرتدي معطفًا طويلًا ثقيلًا حال لونه، وقلنسوة، أعاد عليه سؤاله مرة أخرى:

– من أنت ؟ وماذا تريد؟

صمت برة ثم أضاف:

لا أحد يقطن هاهنا منذ زمن، هذا المترل مهجور، بل مسكون! ثم اقترب منه فرأى بقايا أسنانه، ثم أردف:

– هل ضللت الطريق؟

تراجع مايك قليلًا إلى الوراء وقال:

–لا بأس، لا بأس. مم، نعم ضللت الطريق.

– إذًا أين تريد الذهاب؟

– لا، لا، شكرًا.

قالها مايك وهو يمر منه جانبه ويجتاز السور الحديدي ويذهب بعيدا، وقف مايك و رمق الرجل من بعيد وهو يبتعد عن المترل فعاد أدراجه إلى المترل مرة أخرى.

هذه المرة لم يدق الباب، بل لم يذهب ناحيته أصلًا فقد ذهب متجهًا إلى نافذة صغيرة كانت مفتوحة، حشر نفسه داخله ووثب إلى الداخل، فانحدرت قدماه، وانزلق لأسفل، ومن ثم ارتطم جسده بالأرض! ثم فقد وعيه.

***

لم يعلم كم من الوقت قد مر عليه وهو فاقد للوعي، لكنه أفاق، على كل حال. كان المكان مظلمًا بالداخل، الرائحة العطنة في كل مكان، نهض متوجعًا، وأضاء الكشاف لتتضح أمامه الرؤى، فوجد أنه داخل القبو، قبو المترل!

هنا دراجة كليك الواهنة، ضغط على ذر الكاميرا فأضأت القبو، مذياع متهالك، أشياء كثيرة بالية بكل تأكيد، بالإضافة الى كمية الغبار الهائلة التي تكسوها.

تقدم قليلًا ثم مرة أخرى، كليك، صورة أخرى، مصباح واهن لكنه يفي بالغرض، أضاءه، فرأى الدرج المؤدي إلى داخل المترل، فصعد فيه!

مر عبر الطرقة، الغبار في كل مكان، خيوط العنكبوت منسوجة على جميع أبواب الغرف.

يتقدم بضع خطوات أخرى.. تيييييييييييكك تيييييك

عندها سمع عويل الباب، باب المترل وهو ينفتح!

ةقف وتزايدت ضربات قلبه،الدماء فرت من جسده، أين يختبئ؟!

سمع خطوات على الدرج، فتح باب إحدى الغرف ولحسن حظه أنه لم يكن موصدًا، ودلف إلى الداخل وأغلق الباب، لكن ترك فيه فرجة ليرى منها صاحب هذه الخطوات.

اقترب صوت الخطوات، فتزايدت دقات قلبه،كان صوت الخطوات يدل على أن العدد يزيد عن الواحد!

جورنج ، وسميث، إنهما صديقاه ، كاد يخرج لولا أن رآهما يرتديان عباءتين ذواتي لون أبيض يغطيان بهما رأسيهما!

لقد فهم كل شيء! إنهما يريدان إخافته، إخافته إلى حد لا يوصف. استند بيديه على الباب في أسى، لكنه سقط على الأرض خارج الغرفة! لقد اخترق الباب!

نظر إلى الباب ومن ثم نظر إلى صديقيه، كيف حدث ذلك؟!

مر صديقاه أمامه، دون مبالاة، إنهما لم يرياه أصلًا، لم يرياه! نهض ونادي بصوت مشروخ:

- جورنج.

لكنه لا يسمعه.

- سميث.

لا شئ. هرول خلفه وقف أمامه ، لكنه مر! لقد مر دون أن يصطدم به، بل دون أن يراه! لقد صار طيفًا لا يرى ، أم أنه.....

وقبل أن يفتح جورنج وسميث باب إحدى الغرف ليختبئا داخلها، أمسك هو بمذلاجها، وفتح الباب! عندها ارتبك الاثنان ونظر بعضهما إلى بعض، ودون إضافه أية كلمة، هرولا.في طريقهما إلى الخارج، لقد أخافهما، وإلا فلماذا فرا هكذا؟

صرخ هلعًا بدوره، و هرول خلفهما لكنه سقط داخل القبو، مرة أخرى، لكن هذه المرة دون توجع نظر لأعلى فلم يجد أية ثقوب في السقف، كيف سقط؟!

تزايدت ضربات قلبه وقبل أن ينهض رأى جسدًا ممددًا على الأرض، دقق النظر أكثر فرأى نفسه! نعم رأى نفسه،

كاد يموت هلعا مما يحدث، مايك ممدد على الأرض وسط بركة من الدماء، إذًا من هو؟! رجَّ جسده المدد بلا حراك، مرة، مرتين، لكنه يدرك أنه ...أنه ... مات، لقد مات.

لقد كان ميتًا منذ البداية، منذ أن انزلقت قدماه وسقط على أم رأسه داخل القبو. لقد صار شبحًا!

صرخ وصرخ، ويحاول أن يهرول إلى خارج المنزل، لكنه لم يستطع.

ارتطم بحاجز ما، لكنه لم يراه، هنالك ما يمنعه من الخروج، لقد صار حبيس المنزل، سوف يسكن المنزل إلى الأبد، هنا أدرك أنه صار شبحًا من أشباح منزل أليكس بارزاك.



هلوسة



إسكندرية من جديد، ذلك المصيف الرائع الذي يجعلك تشعر بجو الاصطياف بالفعل، أنا لا أشعر بإجازة آخر العام إلا بالذهاب لهذا البلد الجميل،مدينة رائعة بكل تأكيد.

أما الشقة، فهي أنيقة، جميلة، في الطابق الرابع، تطل شرفتها الأولى على البحر، يا لروعتها! الأمواج المتلاحقة تجعل قشعريرة تسري في جسدي، انتقلت إلى الغرفة الداخلية الأخرى، فوجدت شرفة أخرى صغيرة نوعًا ما، تطل على عمارة أخرى، ألقيت حقيبتي بداخلها، وقررت أن تكون هي غرفتي. وبعد ساعات من تبديل الملابس وترتيب كل شيء ، والغداء وغير ذلك من الأعمال الأنثوية، أخذت حمامًا لا بأس به، ووقفت أمام المرآة، عندها رأيته! شابًا ما، تنعكس صورته فيها. يقف في الشرفة، شرفة العمارة المقابلة، لم أنتظر أكثر، فأدرت ظهري، والتفت إليه حتى أغلق الشرفة الخاصة بي، لكنني لم أجده!! دلفت إلى الشرفة ودققت النظر، ألقيت ببصري تجاه تلك الشرفة فوجدتها مغلقة، حتى الشقة ذاتها مظلمة، شئ غريب!

بسم الله الرحمن الرحيم، دلفت إلى الغرفه وأغلقت باب الشرفة، ولم أعر الموضوع اهتمامًا، فقد نسيته تمامًا، أقصد: تناسيته تمامًا، لا، لا، الحق ، أنني كما يقولون: ثار هلعي ومت في جلدي. وأصبحت منذ اليوم الأول أهتم بهذه الشرفة. ولا تقل من فضلك: إنني

أتلصص. لا، بل هو الفضول الذي يمتزج بالخوف، ولو أخبرت أبي أو أختي، فلن يصدقاني بكل تأكيد، وسوف أصبح مخبولة حمقاء،

***

كان شعوري – كما سلت – خليطًا من الخوف والرعب والفضول، لكنه سرعان ماتبدل، متى؟ مم ... مم، منذ رأيته جيدًا. كنت أعتصر الملابس وأضعها على الأحبال كي تأتي الشمس لتجففها، وعندها رأيته يقف في الشرفة، شابًّا أنيقًا، حليق الذقن، أشقر، الحق يقال: إنه وسيم. بالإضافه إلى أنه كان ينظر إلي، حاولت أن أتمالك نفسي وألا أبدي اهتمامي به، لكن قد وقعت عيناي على عينيه، ومن ثم دلف إلى الداخل في هدوء ورزانة. لم أدر ما أفعله لكنني تمالكت نفسي ودلفت إلى الداخل.

***

في اليوم التالي، لم أعلم ما الذي دهاني؟ أصبحت أختلق الحجج الواهية في نفسي كي أدلف إلى غرفتي ومن ثم إلى الشرفة، كي أراه. عندها لمحته، رحت أعبث هنا وهناك ومن ثم أرمقه بطرف عيني، فابتسم لي ابتسامة واثقة، ودلف إلى الداخل. تصببت عرقًا ورحت أعبث هنا وهناك مرة أخرى، لكنه كان قد دلف الى الداخل، لكن هذه المرة لمحته يخرج إلى الشرفة راسمًا ذات الابتسامة الواثقة، ويجر مقعدًا خشبيًّا ويضعه أمامه! تعجبت مما يفعل، فتركت ما كنت – وما كنت أفعل شيئًا في الحقيقة – وتابعته!! ثم، ما هذا؟!

لم أصدق حينها مارأيته! لقد صعد على المقعد بكلتا قدميه، ووقف منتصبًا، وعلى وجهه ذات الابتسامة، كدت ألوح له كي ينزل حتى

لا يختل توازنه... أخذ يترنح يمينًا ثم يسارًا ثم... حاولت أن أنادي، لكن الكلام احتبس في فمي. لقد نظر إلى أسفل، وقفز من الشرفه، صرخت وصرخت وأنا أنظر إليه وهو يهوي في طريقه إلى أسفل ليصبح بعدها جثة هامدة ممدة على الأسفلت بلا حراك!

وبالطبع لم أتمالك أنا نفسي ولا قدمي اللتين لم تستطيعا حملي و... فقدت الوعي،

***

وبعد أن نهضت لا أعلم متى؟

وجدت الجميع يقف أمامي،

– ماذا حدث؟

قالها أبي وهو يرمقني ويجلس على الفراش إلى جواري.

حككت رأسي متسائلة:

– ماذا حدث؟

عندها تذكرت، صرخت قائلة:

– لقد مات، إنه مات، المخبول وثب من الشرفة، لقد مات، انتحر.

– من هو؟ الذي مات؟

– الشاب الأشقر الذي يقطن أمامنا.

– شاب؟ أي شاب؟

– الذي يقطن هاهنا.

ونهضت وأنا أشير بيدي على العمارة، لكن مهلًا، أين العمارة؟!

– لقد كانت هنا عماره.

– أية عمارة، لا يوجد عمارات أمامنا يا فاتن، نحن نقطن في حارة.

– حارة ؟!

–نعم.

–والإسكندرية؟

–ماذا؟

– كيف هذا؟ ألم نذهب إلى الإسكندرية؟!

لم أكمل كلامي لأنني علمت أن الحادث كله لم يحدث، وهذا، لأنني في غرفة شقتنا، فقالت أختي بنوع من الاستعراض:

– لقد جننت بكل تأكيد يا فاتن نحن في شقتنا بحي الوراق.

آثرت الصمت، وطلبت من الجميع أن يتركوني بمفردي لأنني مرهقة، مرهقة بكل تاكيد.

الإسكندرية، المصيف، الشاب، الشقه، هل كنت أحلم؟ هل كنت أهذي؟ هل كنت أهلوس؟ يقولون: إن الهلوسة هي الإحساس بمحسوس غير موجود، وبمعنى أدق، هي الإحساس في حالة اليقظة، والوعي بمحسوس غير موجود يتميز بخواص المحسوسات الموجودة

كالحياة والمادية والتحقق في الخارج (وجود مصداق خارجي للمحسوس).هذا ما درسته في الفلسفة تقريبا ولا أفهمه، هل كدت أسقط في بئر الجنون؟ كلها أسئلة لم اجد لها أية إجابات.

دلفت إلى الشرفة، إنها الحارة، لم يتبدل شيء، هنا دكان عم شوقي، هذا عم سيد صاحب عربة الفول، هذه الحاجة بشرى، وهذا الشاب سمير صاحب السايبر الذي لا يكف عن مغازلتي، يقف دائما أمام السايبر ينتظرني حتى أخرج إلى الشرفة، ويظل ينظر لي حتى أدخل، حتى في الشارع لم يكف عن ... ماهذا؟ إنه هو؟ إنه يشبهه... يشبهه بكل تاكيد، يشبه الشاب الذي قفز من شرفته في حلمي.

عدت إلى غرفتي وأنا أفكر فيما حدث كله أنا أحب الإسكندرية، أحب الاصطياف، ربما لهذا حلمت بالإسكندرية، لكن هل أحب سمير؟ لكن لماذا لم أعرفه في الحلم؟ بل والأهم هو: لماذا وثب؟

كنت قد قرأت أن العاشقين ينامون لا لينالوا قسطًا من الراحة بل يناموا كي يحلموا بمن يحبون، ويقول الشاعر:

أهلًا وسهلًا بمن في النوم ألقاها

وحبذا طيفها لو كان إياها

ويقول قيس:

وإني لأهوى النوم في غير حينه

لعل لقاء في المنام يكونُ

تحدثني الأحلام أني أراكم

فيا ليت أحلام المنام يقينُ

فهل معنى ذلك أنني أحب سمير، ولا أعلم أنني أحبه؟ ثم لو كنت أحبه، فلماذا وثب؟ أعتقد أن الأمر كله هلوسة، هذا هو التفسير المنطقي لما حدث.

وأعتقد أيضا أن جهازي العصبي لن يحتمل أكثر من ذلك؛ لذا سأريحه وأريح نفسي وأنام، لعلي أحلم به مرة أخرى، لكن هذه المرة لن أدع ذلك المجنون يقفز بكل تأكيد، لن أدعه يقفز.

زنزانة 23

اسمي لا يهم ، لنقل: أنا السجين رقم 445.

قصتي باختصار هي :

منذ سنة تقريبا توفيَ أبي عن عمر يناهز الستين تقريبًا، ترك لنا شقة وهي ميراثنا عنه، وهي ميراثه عن والده، صحيح أن جدي ترك ذلك البيت، لكن أعمامي أخذوا الباقي كميراث لهم.على كلٍّ، توفي أبي، ثم أخذ عمي الشقة، لا أعرف كيف، فهو محام ويعرف الكثير من الامور التي تساعده على فعل شيء كهذا دون أن يضار، فأصبحت بعدها أنا وأمي في الشارع، ستجدني مضطربًا قليلًا؛ لذا اعذرني،لنكمل القصه:

حاولت أنا وأمي أن نرقق قلبه، لكنه أبى، والغريب أن بقية أعمامي لم يحاولوا حتى أن يجعلوه يتراجع عن ذلك العمل، ذهبت إلى كل منهم، لكن دون جدوى، لا أعلم لَمَ، انعدمت صلة الرحم، أصبحت قلوبهم غلفًا!

هذا ما حدث، لم تمر إلا أيام، ثم توفيت أمي على إثر حادث سير، حاولت أن أدخلها مستشفى ما في مصر القديمة، لكن طبيب ما بالمستشفى رفض بشدة مدعيا بأنهم لا يقبلون مثل تلك الحالات، حاولت الدخول لمدير المستشفى، لكنه منعني وألقى بي وبوالدتي إلى الخارج حتى ماتت أمي. نُزعت منه هو الآخر الرحمة والشفقة، لكن أولي الأرحام كانوا هكذا.فما بالك بالغريب! بحثت عن عمل، لكني

لا أحمل مؤهلًا عاليًا، وبالطبع لم أحصل على عمل، إن من يحملون المؤهلات العليا لا يحصلون على عمل هذه الأيام، فهل تحصل أنت على عمل؟ هكذا قال الجميع، لكنني لم أيأس وحاولت أن أشحذ، نعم حاولت أن أكون شحاذًا؛ لكنني فشلت وأُلقي القبض علي، صحيح، هؤلاء الشحاذون عباقرة. كيف يحصلون على المال بتلك السلاسة؟ ولا يلقى القبض عليهم؟ وهكذا يأست وقررت الانتحار!! وبدأت في تنفيذ ما نويته، لكنني وللمرة المليون فشلت، خفت، بل مت رعبًا، وفي النهاية قلت لنفسي: إنني لا أريد الموت مُغضبًا لربي، ثم كيف أموت وأريحهم؟! نعم سوف أدعهم يقتلوني، من هم؟ سوف تعرف ذلك بعد قليل، نعم ، كما خمنت!!

قررت الانتقام، الانتقام من كل من ظلمني وجعل مني بقايا حطام رجل، بداية من جميع أعمامي، وحتى طبيب المستشفى، وبالفعل بدأت التنفيذ،لأول، أه، لقد نسيت أن أخبركم بأن أعمامي أربعة، ذهبت إلى عمي الأول في مترله بعد أن علمت أن زوجته ذهبت إلى أمها، وصعدت ودققت الباب، دلفت إلى الداخل، بعد أن كممت فمه بيدي، كي لاينبس ببنت شفة، ثم اعتصرت رقبته حتى سمعت طرقعة القصبة الهوائية، ولحسن الحظ لم يرنِ أحد وأنا أهبط الدرج فارًّا من مسرح الجريمة، متجهًا إلى الآخر في الطابق الذي يليه فهو يقطن في ذات المترل، مترل جدي، دققت الباب، لكنني لم أجده، فقط وجدت ولديه هدير، ورامي، لم يستجيبا لي في البداية، لكن عندما علما أنني ابن عمهما، استجابا لقدرهما.

دلفت وجلست معهما قليلًا، ثم دلفت للمطبخ وأخذت سكينًا لا بأس به، وناديت على هدير، ومن ثم انهلت عليها بعدة طعنات نافذة، دون أن تطلق صرخه اسغاثة واحدة، بعدها ناديت على الصغير رامي، أخذ يحجل على قدم وأخرى، فأنت تعرف الأطفال، ثم ابتسم لي في بلاهة ليجد السكين تشق طريقها إلى أمعائه! بالطبع أنتم تقولون لي: لا تزر وازة وزر أخرى، أما عني أنا فلا، من كان في مكاني، فسيحذو حذوي بكل تأكيد ولكل وجهة نظره.

بالطبع مرت الأيام، وقيدت القضايا ضد مجهول، وانتشر خبر وجود سفاح مجنون في المنطقة بأكملها، وكنت أنا من بين المشتبه بهم، لكنني لن أدعهم يلقون القبض علي، إلا بعد الانتقام، لذا ظللت هاربًا،

***

أما عمي الثالث، فقد سافر إلى بلد عربي هو وعائلته، لحسن حظه! أما عمي الرابع، ظللت أراقبه حتى سنحت الفرصة، ورأيته يدلف إلى المصعد الخاص بمنزله، فدلفت خلفه في خفة، كان عائدًا من العمل بعد الثانية صباحًا، دلفت خلفه، ومن ثم أنهيت مهمتي، بسكين لا بأس به! ثم أوقفت المصعد وانصرفت،

لم يبقَ سوى طبيب المستشفى، ومديرها ، نعم مديرها! فكرت طويلًا في كيفية قتلهما، حتى توصلت إلى طريقة جيدة.

***

في تلك الأثناء كنت أنفق مما تبقى من نقود والدي، فأنا أعلم ما يدور في خلدكم، لم يكن أبي من الموظفين حتى نحصل على معاش أو شيء كهذا، فقد كان عاملًا في إحدى الورش، هذا ما نسيت أن اقوله.

أما الطبيب، فقد ذهبت إلى المستشفى، ورأيت الموقع جيدًا، علمت من عامل يدعى.. لا، لن أذكر اسمه، عذرًا، أن ذلك الطبيب سوف يكون في نوباتشيه الليلة، لقد سنحت الفرصة للتخلص منه، في لحظة أصبحت مريضًا أو ادعيت المرض، وهكذا أصبحت داخل المستشفى، بالقرب من الطبيب.

في الليل راقبته حتى رأيته بمفرده داخل مكتبه، تأكدت تمامًا أن أحدًا لم يرني. وانتهزت فرصة غياب عامل غرفة الأدوية، ثم دلفت للداخل، أخذت جرعة كبيرة من سائل ما، لا أعلم ما هو، ثم جرعة أخرى من سائل آخر، وثالث، ورابع.... وهكذا صنعت كوكتيلًا ممتازًا من العقاقير، وعبأتها جميعًا في سرنجة ووضعتها في جيبي، واتجهت ناحية غرفة الطبيب.

***

سرت بضع خطوات إلى الخارج حتى وصلت إلى غرفة الطبيب الذي غط في سبات عميق، ودلفت للدخل بحذر بالغ، نهض مذعورًا، فلم أتركه حتى صرخ، فقط داهمته غارزًا السرنجة في عنقه وأنا أضغط عليها كي أفرغ ما حوته بداخله، وبعدها، لك أن تتخيل ما حدث، فقد سال الزبد من فمه، ثم تهاوى على الأرض، تشنج قليلًا ثم توقف إلى الأبد .

توجهت إلى الخارج، وعدت إلى غرفتي، وقد غمرتني السعادة العارمة،

لقد تبقى شخص واحد: المدير،

لم أقتله؛ لأنهم ألقوا القبض علي، كيف؟! لا أعلم، بعض الغباء مني، وبعض الذكاء منهم، الأمر بسيط للغاية، ربما أخبر العامل عني، ربما لم يمت الطبيب، ربما أي شيء، المهم أنني صرت داخل السجن، وتم الحكم علي بالإعدام شنقًا، لقد فشلت في قتل المدير، لكنني نجحت في قتل الكثيرين.

أدخلوني الزنزانة رقم 23، وكان علي أن أنتظر لحظة الإعدام ... لكن الغريب أن هذه اللحظة طالت، فقد لاحظت أن من دخل بعدي طُبِّق عليه الإعدام ومات، أما أنا فأنتظر حتى هذه اللحظة، تعرفت على كثيرين لا أذكر أسماءهم، لكنهم رحلوا، بالطبع لم ير بعضنا بعضًا، لكنه حديث فحسب، كل في زنزانته.

تك،،،،،،تك،،،،،.تتتك

صوت الباب يفتح، ربما حان وقت تنفيذ الحكم، لكن لحظة، ما هذا؟ إنه سجين آخر يدخله الصول إلى زنزانتي، كيف؟ إن تلك الزنازين تكون انفرادية!

- يا شويش.

هكذا صحت، لكنه لم يسمعني.

- يا شويش.

لكن لا إجابة، وخرج وأغلق الزنزانة.

- مرحبًا.

قلتها للسجين الجديد، لكنه لم يرد، فقط نظر حوله، ثم وقف على أطراف أصابعه ليرى من خلف القضبان. أمسكت بحذائي وقذفته به، فنظر خلفه في هلع ثم أخذ يصرخ ويصرخ وينادي على الصول، فسمعت صوت الصول من الخارج يقول:

- أعرف، أعرف، تشعر أن هنالك شخصًا معك، بل هو معك فعلًا، لكن لا تخف، إنه لا يؤذي أبدًا. عليك أن تتأقلم معه حتى تحين اللحظة، هذا هو قدرك زنزانة 23!

صرخ قائلًا:

- من الذي معي؟!

أجابه وهو يبتعد:

انظر على جدران الزنزانة وسوف تجد قصته، اقرأها كي تسليك، استدار وبدأ القراءة في هلع:

اسمي لا يهم، لنقل: إنني السجين رقم 445.

الفهـــــرس

